رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

إقامة البرهان على ضلال عبد الرحيم الطحان

إن الحمد للَّه ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده اللَّه فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد : فهذه أسئلة من شباب دولة قطر إلى الشيخ الفاضل الوالد مقبل بن هادي الوادعي - حفظه اللَّه تعالى - يستفسرون فيها على دينهم ، ويسألون عن أمور قد أشكلت عليهم ، وشبه قد عرضت عليهم ، فيسألونه باللَّه سبحانه وتعالى أن يأتيهم بالحق الذي يعرفه ، وأن يبين لهم الخير الذي عرفه ، ويسألون اللَّه عز وجل له الثبات في القول ، والسداد في الإجابات والفتوى فيقولون :

أولًا : نسألكم عن التقليد ، فعندنا عبد الرحيم الطحان يقول بجواز تقليد المذاهب الأربعة التي اختار منها المذهب الحنفي .

يقول : الانتساب إلى مذهب من هذه المذاهب والتقيد بها والتعصب لها خلق حميد ، وهدي رشيد ، وما بعد ذلك إلا الضلال البعيد .

ويقول : التعصب لها تعصب للإسلام ، والتنكر لها تنكر لدين الرحمن .

ويقول فيمن ذم التقليد : هذه المذاهب مضى عليها ثلاثة عشر قرنًا يتتابع عليها الجهابذة من محدثين وفقهاء وأصوليين ، فمن نازعها وضللها فعليه غضب رب العالمين ، ومن خرج عنها ولاه اللَّه ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا .

ويقول في الشذوذ الذي تصاب به الأمة في هذا الزمان : وهذا الشذوذ يتمثل في دعوات تجديدية تتمثل إلى العودة إلى الكتاب والسنة ، ونبذ مذاهب الأئمة الأربعة المتبعة .

ويقول فيمن تمثل ببيت الإمام الذهبي رحمه اللَّه :

العلم قال اللَّه قال رسوله والنص والإجماع فادأب فيه
وحذار من نصب الخلاف سفاهة بين الرسول وبين قول فقيه

يقول الطحان : وأنا أقول لهذا المخرف الضال : على رسلك وتأمل قولك ولا تتكلم بالباطل ، وإذا زينت لنفسك الباطل فلن يتزين لنا باطلك إذا خالفت أئمتنا ، وجعلت خلافك بينهم خلافًا بين نصوص الكتاب ونصوص أئمتنا ، واللَّه ما حالك إلا كحال القسس والباباوات .

ويقول : وأنت لا تدعو إلى اتباع نصوص الكتاب والسنة ، ولكنك تدعو إلى اتباعك ، وتجعل نفسك بمنزلة اللَّه إن ذلك ضلال ضلال ، وليس بين الفقهاء وبين رب الأرض والسماء مخالفة .

ويقول : وما هذه الدعوة إلا دعوة لاتباعهم وتقليدهم بالباطل والعدوان ، لدعوة إلى دعوات تجديدية .

ويقول : وإذا كانوا ينتسبون زورًا وبهتانًا إلى السلفية ، فواللَّه لا سلف لهم إلا الخوارج . انتهى كلامه من شريط (الصوم جنة) الوجه الثاني .

والسؤال : ما هو حكم التقليد سواء كان الخاصة أم للعامة ، وما تعليقكم على هذه المقالة وهذا التسفيه ؟

جواب : الحمد للَّه ، وصلى اللَّه وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن والاه ، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد : فمنذ أشهر وإخواننا أهل السنة في اليمن وبغير اليمن يستفسرون عن أمر عبد الرحيم الطحان ، وأنا أتأخر عن ذلك ، وأماطلهم حينًا فحينًا ، وإن كان النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « **مطل الغني ظلم** » لكن أقول : لعل الرجل يرجع ، فهذا أمر . والأمر الآخر فإني أذكر أشرطته ودعوته عند أن كان في أبها ، فله أشرطة قيمة ودعوة قيمة ، وكان واقفًا في وجه الحزبيين والمبتدعة ، وأقول : لعل الإخوة الذين بلَّغونا عنه ما بلَّغونا لم يكونوا متثبتين ، ومع كثرة الأخبار عنه فإنني أقول كما قال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « **إن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء** » .

ونقول أيضًا : إن للَّه وإنا إليه راجعون ، فأحسن اللَّه عزاءنا فيك يا عبد الرحيم الطحان، فأين أشرطتك التي سمعناها وسمعها الناس

واستفادوا منها ، وأين دعوتك عند أن كنت بأبها ورحّلت من أجل كلمة الحق ، ثم يحصل منك ما حصل ! فإنا للّه وإنا إليه راجعون.

أما مسألة التقليد : فإن معناه في اللغة مأخوذة من القلادة ، وكأن الشخص الذي يقلِّد قد وضع نفسه كالقلادة في عنق من يقلده .

وأما في اصطلاح أهل العلم فأحسن تعريف له هو تعريف ابن الهمام وهو : اتباع من ليس بحجة بدون حجة .

وأما قول الطحان : إن الانتساب إلى مذهب من هذه المذاهب والتقيد بها والتعصب لها خلق حميد وهدي رشيد ، وما بعد ذلك إلا الضلال البعيد .

فأقول : إن التقيد بمذهب من المذاهب يعتبر بدعة حدثت بعد القرون المفضلة – كما قاله محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني رحمه اللّه في كتابه القيم « إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد » – ، ورب العزة يقول في كتابه الكريم : ﴿ **اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلًا ما تذكرون** ﴾ [الأعراف : ٣] .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم** ﴾ .

[الإسراء : ٣٦]

ويقول سبحانه وتعالى حاكيًا عن الكفار : ﴿ **إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون** ﴾ [الزخرف : ٢٣] .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل اللَّه قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون** ﴾ .

[البقرة : ١٧٠]

فهذه هي الحجة الملعونة التي جعلت بين الكفار وبين دين اللَّه حاجزًا ، ولقد أحسن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه اللَّه إذ يقول في كتابه القيم « مسائل الجاهلية » : التقليد أصل من أصول الكفر . وهو لا يعني أن مقلدي الأئمة الأربعة كفار ، لكن يعني أنه من حجج الكافرين الذين يحتجون بها .

ويقول اللَّه سبحانه وتعالى منكرًا على المقلدة وعلى أهل الكتاب : ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون اللَّه** ﴾ [التوبة : ٣١] .

فهذه المذاهب فرقت المسلمين وشتت شملهم وجعلتهم شيعًا وأحزابًا ، بل أقبح من هذا أنهم تنازلوا عن تقليد الأئمة الأربعة إلى تقليد أتباعهم ، ثم إلى تقليد أتباع الأتباع ، ثم إلى العكوف على مختصرات خالية من قال اللَّه قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، ثم إلى تقليد أعداء الإسلام ؛ لأن علماء المسلمين ما ربطوا العامة بكتاب اللَّه ، وبسنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم .

والأئمة الأربعة برآء من تقليدهم ؛ فقد قال الإمام أبو حنيفة رحمه اللَّه : أيها الناس إنا بشر نقول القول اليوم ونرجع عنه غدًا ، فخذوا من حيث أخذنا .

ويقول الإمام مالك : كل يؤخذ من قوله ويُترك إلا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم .

وقال الإمام الشافعي : إذا صح الحديث فهو مذهبي .

وقال الإمام أحمد : لا تقلدني ، ولا تقلد مالكًا ، ولا تقلد الأوزاعي ، وخذ من حيث أخذنا .

وأنت إذا قرأت التاريخ في « البداية والنهاية » تجد ما يذهلك من الفتن في المساجد والخصومة ، ورب شخص يرحَّل عن بلده من أجل فتنة المذاهب والتعصب للمذاهب ، حتى قال أبو عبد اللَّه البوشنجي :

ومن شعب الإيمان حب ابن شافع وفرض أكيد حبه لا تطوع
أنا شافعي ما حييت وإن أمت فوصيتي للناس أن يتشفعوا

وقارن بين وصية البوشنجي وبين وصية رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم كما في حديث جابر الطويل : « **إني تارك فيكم ما إن اعتصمتم به : كتاب اللَّه** » .

وهكذا وصية اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿ **ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا اللَّه** ﴾ [النساء : ١٣١] ، والبوشنجي العالِم الفاضل محمد بن إبراهيم يوصي أصحابه بأن يتشفعوا - أي : يكونوا شافعية .

ثم أتى بعده الحنبلي وهو عبد اللَّه بن محمد أبو إسماعيل الهروي فقال :

أنا حنبلي ما حييت وإن أمت فوصيتي للناس أن يتحنبلوا

ويعدهم الحنفي فقال :

فلعنـــة ربنـــا عـــداد رمـــل علـــى من رد قـــول أبـي حنيفـــة

ثم يأتي المالكية من هنالك ، ويقول قائلهم : لولا مالك كان الدين هالك .

والله عز وجل يقول : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ .

[الحجر : ٧]

ثم يأتي بعد ذلك الحنفي وهو مأمون بن أحمد ويرى أن هذه الأشعار وهذه التعصبات لا تكفي ، بل لا بد أن يخترع حديثًا كما في « الميزان » وغيره يقول : حدثني فلان عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : يأتي على الناس رجل هو أضر عليهم من إبليس يقال له : محمد بن إدريس ، وأبو حنيفة سراج أمتي ، وأبو حنيفة سراج أمتي ، وأبو حنيفة سراج أمتي .

فهذه المذاهب كانت سببًا للوحشة بين المسلمين وللفرقة حتى قال الزمخشري :

وإن يسألوا عن مذهبي لم أبح به وأكتمه كتمانه لي أسلم
فإن حنفيًا قلت قالوا بأنني أبيح الطلا وهو الشراب المحرم
وإن مالكيًا قلت قالوا بأنني أبيح لهم لحم الكلاب وهم هم
وإن شافعيًا قلت قالوا بأنني أبيح نكاح البنت والبنت تحرم

وإن حنبليًا قلت قالوا بأنني ... ثقيل حلولي بغيض مجسم
وإن قلت من أهل الحديث وحزبه ... يقولون تيس ليس يدري ويفهم
تعجبت من هذا الزمان وأهله ... فما أحد من ألسن الناس يسلم

ويقول الصنعاني رحمه اللّٰه في « ديوانه » :

وأقبح من كل ابتداع سمعته ... وأنكاه للقلب الموفق للرشد
مذاهب من رام الخلاف لبعضها ... يعض بأنياب الأساود والأسد
يصب عليه سوط ذم وغيبة ... ويجفوه من قد كان يهواه عن عمد
ويعزي إليه كل ما لا يقوله ... لتنقيصه عند التهامي والنجدي
فيرميه أهل الرفض بالنصب فرية ... ويرميه أهل النصب بالرفض والجحد
وليس له ذنب سوى أنه غدا ... يتابع قول اللّٰه في الحل والعقد
ويتبع أقوال النبي محمد ... وهل غيره باللّٰه في الشرع من يهدي
لئن عده الجهال ذنبًا فحبذا ... به حبذا يوم انفرادي في لحدي
علام جعلتم أيها الناس ديننا ... لأربعة لا شك في فضلهم عندي
هم علماء الدين شرقًا ومغربًا ... ونور عيون الفضل والحق والزهد
ولكنهم كالناس ليس كلامهم ... دليلًا ولا تقليدهم في غدٍ يجدي
ولا زعموا حاشاهم أن قولهم ... دليل فيستهدي به كل مستهد
بل صرحوا أنا نقابل قولهم ... إذا خالف المنصوص بالقدح والرد
سلام على أهل الحديث فإنني ... نشأت على حب الأحاديث من مهدي
هم بذلوا في حفظ سنة أحمد ... وتنقيحها منهم غاية الجهد

وأعني بهم أسلاف سنة أحمد ... أولئك في بيت القصيد هم قصدي
أولئك أمثال البخاري ومسلم ... وأحمد أهل الجد في العلم والجد
بحور وحاشاهم عن الجزر إنما ... لهم مدد يأتي من اللَّه بالمدد
رووا وارتووا من بحر علم محمد ... وليست لهم تلك المذاهب من ورد
كفاهم كتاب اللَّه والسنة التي ... كفت قبلهم صحب الرسول وذوي المجد
أأنتم بأهدى أم صحابة أحمد ... وأهل الكسا هيهات ما الشوك كالورد
أولئك أهدى في الطريقة منكم ... فهم قدوتي حتى أوسد في لحدي
وشتان ما بين المقلد في الهدى ... ومن يقتدي والضد يعرف بالضد
فمن قلَّد النعمان أصبح شاربًا ... نبيذًا وفيه القول للبعض بالحد
ومن يقتدي أضحى إمام معارف ... وكان أويسًا في العبادة والزهد
فمقتديًا في الحق كن لا مقلدًا ... وخل أخا التقليد في الأسر بالقد

وما أكثر العلماء الذين أوذوا بسبب التقليد، فذلك المنذر بن سعيد يقول متوجعًا من أهل عصره المالكية:

عذيري من قوم يقولون كلما ... طلبت دليلًا هكذا قال مالك
فإن عدت قالوا قال سحنون مثله ... ومن لم يقل ما قاله فهو آفك
فإن زدت قالوا قال أشهب مثله ... وقد كان لا تخفى عليه المسالك
فإن قلت قال اللَّه ضجوا وأكثروا ... وقالوا جميعًا أنت قرن مماحك
فإن قلت قد قال الرسول فقولهم ... أتت مالكًا في ترك ذاك المسالك

وأبو محمد بن حزم رحمه اللَّه عند أن تبرأ من التقليد والتمذهب ، ولم يستطيعوا أن يناظروه ويقفوا أمامه أغروا به السلطة ، فأتت وحرَّقت عليه كتبه ، ثم يقول رحمه اللَّه :

وإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي ... تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي ... وينزل إذ أنزل ويدفن في قبري
دعونا من إحراق رق وكاغد ... وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
وإلا فعودوا في المكاتب بدأة ... فكم دون ما تهوون للَّه من عذر

وقد سجن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه من أجل مسألة خالف فيها الأئمة وأتباعهم ، وطيف بتلميذه ابن القيم على جمل في الأسواق تعزيرًا له .

وهكذا الشيعة عندنا في اليمن الذين يظنون أنهم الفرقة الناجية ، ويستدلون بحديث ضعيف بل موضوع : « **أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق وهوى** » .

فهذه المذاهب أورثت الشحناء والخلاف بين المسلمين ، وأهل السنة عدول ومنصفون في هذا ، لأن اللَّه عز وجل يقول في كتابه الكريم : ﴿ **إن اللَّه يأمر بالعدل والإحسان** ﴾ [النحل : ٩٠] .

ويقول : ﴿ **وإذا قلتم فاعدلوا** ﴾ [الأنعام : ١٥٢] .

ويقول : ﴿ **ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى** ﴾ [المائدة : ٨] .

فهم يحبون الأئمة كلهم، حتى معاصروهم، فسفيان الثوري كان له مذهب، وإسحاق بن راهويه كان له مذهبٌ، والليث بن سعد كان له مذهب، والأوزاعي كان له مذهبٌ، فكل هؤلاء أئمتنا، وهم يصيبون ويخطئون، ويجهلون ويعلمون، ولم يقل أحد منهم: إنني حجة، أو إذا قلت كلامًا فهو حجة.

فأهل العلم يتوجعون من هذه التعصبات من زمن قديم، حتى قال نشوان الحميري متوجعًا من أهل عصره ومن تقليدهم الهادي المقبور بصعدة:

إذا جادلت بالقرآن خصمي أجاب مجادلًا بكلام يحيى
فقلت كلام ربك عنه وحي أتجعل قول يحيى عنه وحيا

فالتعصب منبوذ، يقول النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «**ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية**».

يقول ابن القيم رحمه اللَّه: إنه يشمل التعصب القبلي والتعصب المذهبي.

وعند أن قال الأنصاري: ياللأنصار، والمهاجري: ياللمهاجرين، وقد حصلت خصومة بين أنصاري ومهاجري كما في «الصحيح» من حديث جابر رضي اللَّه عنه، فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «**أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، دعوها فإنها منتنة**».

فهذه الدعوات والتعصبات تعتبر سببًا لتجهيل المسلمين ، بل لتشكيك عوام المسلمين ، فما أكثر العامة الذين قد سألونا ويقولون : نحن نعجب لكم يا أهل العلم فكتابنا واحد ، ونبينا واحد ، ودِيننا واحد ، ثم تختلفون هذا الاختلاف ، - فما أحوج الطحان إلى أن يدرِّسه هذا العامي - فهل جاء في دين اللَّه أن هذا حلال لك إذا كنت شافعيًّا ، وهذا حرام عليك إذا كنت مالكيًّا ، ورب العزة يقول في كتابه الكريم : ﴿ **ولو كان من عند غير اللَّه لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا** ﴾ [النساء : ٨٢] .

فهذا دليل على أن هذه المذاهب ليست كلها من عند اللَّه ، بل فيها من عند اللَّه ، وفيها من آراء الناس ، ونحن لا نتكلم في الأئمة ، بل نتكلم في التعصب الأعمى : ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

والنبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « **افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة** » ، وقالوا في حديث معاوية : من هي يا رسول اللَّه ؟ قال : « **الجماعة** » .

ثم يقول النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « **وإنه سيأتي أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه** » .

فالأهواء هي التي فرقت الناس ، وأما كتاب ربنا وسنة نبينا فهما بريئان من تفرقة المسلمين ومن التعصب لغير دين اللَّه .

ويعجبني ما قاله بعضهم في تفسير قول اللَّه عز وجل : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير** ﴾ [آل عمران : ١٠٤] قال : المقلد لا يدري أيدعو إلى خير أم لا يدعو إلى خير .

ورب العزة يقول في كتابه الكريم : ﴿ **فتقطعوا أمرهم بينهم زبرًا كل حزب بما لديهم فرحون** ﴾ [المؤمنون : ٥٣] ، فالذي يدعو إلى التقليد يدعو إلى تعطيل عقول الناس .

ويقول ابن الجوزي كما في « تلبيس إبليس » : إن مثل المقلد كمثل رجل أعطي شمعة في ليلة مظلمة فقال : أنا أمشي بدون شمعة ، ثم أطفأها وبقي يتخبط في الظلام .

هيهات هيهات أن نطيعك وأن نترك كتاب ربنا وسنة نبينا محمد صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم لآراء فلان وفلان ، فما أنقذنا اللَّه إلا بهذا الدين .

فنحن بحمد اللَّه على هدى : ﴿ **إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم** ﴾ [الإسراء : ٩] ، ويقول اللَّه عز وجل : ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** ﴾ [الإسراء : ٨٢] .

فكلام الرجال يقسي القلب ، وإن شككت في كلامي فاقرأ في « متن الأزهار » من كتب الشيعة أو في كتاب « زاد المستقنع » أو كتب الشافعية والحنابلة والمختصرات الخالية من الأدلة والتي كأنها أوامر عسكرية : افعل ولا تفعل بدون دليل ، ستجد قسوة في قلبك .

ولو كان شخص في سجن وأعطي من هذه المختصرات يدندن فيها يخشى على عقله .

بخلاف كتاب ربنا ، فإنك تقرأ قصة نوح ، وما حصل له من قومه ، وتقرأ قصص سائر الأنبياء ، وما حصل للنبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، فتعلم أنك في راحة حتى ولو كنت في زنزانة .

فأدعو الأخ عبد الرحيم أن يتوب إلى اللَّه ، ولا يغتر بالمنصب ، فواللَّه إن مكانته العلمية التي كان فيها أرفع من المنصب .

احترقت يا عبد الرحيم ، فقد كان يحضر في مجلسك في قطر نحو ألف شخص قبل أن تحدث ما أحدثت ، والآن لا يحضر مجلسك إلا قدر ثلاثين شخصًا أكثرهم من العامة أو الذين يعملون في المساجد ، لأنك مسئول في الأوقاف من أجل أن تبقي عملهم في المساجد .

يقول اللَّه عز وجل : ﴿ **يرفع اللَّه الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾ [المجادلة : ١١] .

ويقول : ﴿ **واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين** ﴾ [الأعراف : ١٧٥] ، وأخبرت أنه صاحب لسان ذلق ، فربما يقول : هذا الوادعي سفيه .

فأنا أقول : إنهم قد قالوا هذا من زمن ولا أبالي بهذا .

وأنا أفكر من أيام : هل كان الرجل يخفي هذه العقيدة الخبيثة عند أن كان في أبها ، لأنه بين رجال التوحيد ، أم طرأت عليه هذه العقيدة الخبيثة عند أن ذهب إلى قطر واغتر بمنصبه ، فأنا أفكر في هذا ولا أستطيع أن أجزم بهذا ولا بهذا .

وبقي مسألة الشذوذ ، لتعلموا أن الطحان لم يأت بشيء جديد ، فقد عقد أبو محمد بن حزم رحمه اللَّه فصلًا في كتابه « إحكام الأحكام » ليبين من هو الشاذ ، فيقول : إن الشاذ هو الذي يخالف الكتاب والسنة ، أما الذي يتمسك بالكتاب والسنة فلو كان واحدًا لا يعتبر شاذًّا .

وصدق أبو محمد بن حزم ، فإن عبد اللَّه بن المبارك سئل عن الجماعة فقال هم : أبو حمزة السكري ، والحسين بن واقد ، ومحمد بن ثابت ، ثلاثة .

فالشذوذ هو ما خالف الكتاب والسنة .

وأما قوله : التعصب لها تعصب للإسلام ، والتنكر لها تنكر لدين الرحمن .

ويقول : هذه المذاهب مضى عليها ثلاثة عشر قرنًا من الزمان يتتابع عليها الجهابذة من المحدثين وفقهاء وأصوليين ، فمن نازعها وضللها فعليه غضب رب العالمين ، ومن خرج عنها ولاه اللَّه ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا .

أقول : أما كون هذه المذاهب تناقلها الناس فلا ، فالإمام أحمد ليس متمذهبًا ، وهو إمام أهل السنة ، فهل كان مالكيًا أو شافعيًا ، والإمام البخاري ليس متمذهبًا ، والترمذي كذلك وأبو داود ، والنسائي وابن ماجه ، والحميدي الذي هو عبد اللّه بن الزبير صاحب « المسند » ، وأبو داود الطيالسي ، فالقرون المفضلة لم يكن فيهم إلا أقل من القليل لم يكونوا متمذهبين ، وأما دعوته أن عليه غضب اللّه فترجع عليه ، والحمد للّه نحن مقتنعون بالكتاب والسنة ، وما ضر أهل السنة أن تحامست أو تحاملت عليهم إلا كما قيل :

يا أيها الناطح الجبل العالي ليوهنه أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

وكما قال الآخر :

كناطح صخرة يومًا ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

فنحن نستفيد من كلام أئمتنا ونبتعد عن التقليد ، والحمد للّه فأهل السنة وشباب اليقظة الإسلامية قد سئموا التقليد ، وقد سئموا التلبيسات من الحكام ، فهم لا يريدون إلا كتاب ربهم وسنة نبيهم محمد صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم .

وقد حاولت الاتصال بعبد الرحيم الطحان وأنا في الحديدة من أجل أن أسمع بأذني ، ولكن قدر اللّه وما شاء فعل ، فلم يتيسر لنا الاتصال به . واللّه المستعان .

وأما قوله : إن الشذوذ الذي تصاب به الأمة في هذه العصور ، يتمثل في دعوات تجديدية ، دعوات تدعو إلى العودة إلى الكتاب والسنة ونبذ مذاهب الأئمة الأربعة المتبعة.

فأقول : إن الأئمة الأربعة نعتبرهم من علماء المسلمين ، ونأخذ منهم ما وافق الكتاب والسنة ، ونستعين باللّه سبحانه وتعالى ثم بأفهامهم على فهم الكتاب والسنة ، لكن فهم الصحابة عندنا أقوى من فهم الأئمة ، لأن الصحابة شهدوا وعرفوا مقاصد التشريع أكثر من غيرهم .

ولو كنا مقلدين هؤلاء لقلدنا أبا بكر الصديق أو عمر الفاروق ، فنحن نعتبر هؤلاء العلماء علماء من علماء المسلمين نستفيد من أفهامهم ، وإذا رووا أحاديث من طريق الثقات فنقبل أحاديثهم ونستفيد منها ، أما أن نقلدهم فإن ربنا حرم علينا ذلك .

أما قوله : في رده على من استشهد بقول الذهبي رحمه اللّه : وأنا أقول لهذا المخرف الضال على رسلك وتأمل قولك ، ولا تتكلم بالباطل وإذا زينت لنفسك الباطل فلن يتزين لنا باطلك ، إذا خالفت أئمتنا وجعلت خلافك معهم خلافًا بين أئمتنا وبين ربنا ، واللّه ما حالك إلا كحال القسس والباباوات ، وأنت لا تدعو إلى نصوص الكتاب والسنة ، ولكنك تدعو إلى اتباعك وتجعل نفسك بمنزل اللّه ، إن ذلك ضلال ضلال ، وليس بين الفقهاء وبين رب الأرض والسماء مخالفة ، وما هذه الدعوة إلا دعوة لاتباعهم وتقليدهم بالباطل والعدوان إنها دعوة إلى دعوات تجديدية ، وإذا

كانوا ينتسبون زورًا وبهتانًا إلى السلفية فواللَّه لا سلف لهم إلا الخوارج . اهـ كلامه .

فأقول : قد تقدمت الإجابة على كثير من هذا ، وأهل السنة من زمن قديم لا يدعون الناس إلى تقليدهم واتباعهم ، بل يدعون الناس إلى اتباع كتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم .

ونحن نقول للناس : لسنا ندعوكم إلى اتباعنا ، فلسنا أهلًا لأن نتبع ، ولكن ندعوكم إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نحكِّم إلا كلام ربنا ، وسنة نبينا محمد صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم .

وذكرت حديث العرباض بن سارية رضي اللَّه عنه قال : وعظنا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا : يا رسول اللَّه كأنها موعظة مُودِّع فأوصنا ؟ قال : « **أوصيكم بتقوى اللَّه والسمع والطاعة ، وإن تأمَّر عليكم عبد حبشي ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ** » .

ففي هذا الحديث وصيتان : الوصية الأولى : تقوى اللَّه ، والوصية الثانية : عند الاختلاف عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ .

وهناك آيتان ما ذكرتهما إلَّا الآن في الكلام على ذم التقليد ، يقول اللَّه سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : ﴿ **إذ تبرأ الذين اتُّبِعُوا من الذين اتَّبَعُوا**

ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب * وقال الذين اتَّبَعُوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا كذلك يريهم اللَّه أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾ [البقرة: ١٦٦، ١٦٧].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلًا * يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانًا خليلًا * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولًا﴾ [الأحزاب: ٢٧- ٢٩].

وآية ثالثة قال سبحانه وتعالى: ﴿يوم تقلَّب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا اللَّه وأطعنا الرسولا * وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا * ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنًا كبيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٦- ٦٨].

وقد أورد ابن القيم رحمه اللَّه في كتابه «إعلام الموقعين» اعتراضًا وأجاب عليه، وهو: أن كثيرًا من الآيات في ذم التقليد وردت في ذم التقليد على الكفر، قال: ولكنه يؤخذ منها ذم التقليد من حيث هو، أو بهذا المعنى. والعلماء رحمهم اللَّه كتبوا كتابات قيمة في التحذير من التقليد، فالإمام البخاري رحمه اللَّه عقد كتابًا في آخر «صحيحه» اسمه: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، فننصح بقراءته بتمهل وتفهم، ثم أبو محمد بن حزم رحمه اللَّه في كتابه «إحكام الأحكام»، فقد بسط القول على ذم التقليد والتحذير منه.

والحافظ ابن القيم في كتابه القيم « إعلام الموقعين » .

ومنهم الفُلَّاني في « إيقاظ همم أولي الأبصار » .

ومنهم الشوكاني رحمه اللَّه في كتابه « القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد » ، وقد ذكر فيه أنه لا يجوز حتى ولا للعامي أن يقلد، فقد كان في الصحابة من هو عامي أو جاهل ، وكان يسأل أهل العلم عن الدليل ، فأنصح بقراءة هذه الكتب المتقدمة .

وهكذا كتاب « معارج الألباب » لحسين بن مهدي النعمي ففيه مباحث قيمة .

ونسيت كتابًا صغيرًا ولكنه اشتمل على فوائد لعلها لا توجد في غيره ، ذلك الكتاب هو « إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد » لمحمد بن إسماعيل الأمير رحمه اللَّه .

فأنصح كل أخ بقراءة هذه الكتب ، وقد جاءني أخٌ وكان متحنبلًا ، وقد توفي رحمه اللَّه يريد أن يناظرني في شأن التقليد ، وكنت مشغولًا فلم أتمكن من الكلام معه ، وأيضًا الحق أن البضاعة لم تكن تفي، لأنه كان طالب علم مستنير ، يقول : فبعد أن ذهبت من عندك رجعت إلى « إعلام الموقعين » ، ثم أصبح الرجل من أعظم الناس بغضًا للتقليد ، لما قرأ « إعلام الموقعين » لابن القيم رحمه اللَّه .

سؤال : عبد الرحيم الطحان يرى أن الصوفية كرام ، ويقول في تعريف التصوف : بأنه الدخول في كل خلق سَني ، والخروج من كل خلق دنيء ، في شريط (فضل النفقة على الزوجة) الوجه الأول ، ويرد في نفس الشريط على من يتكلم على ضلال الصوفية ، فقال بعد أن ساق قصة أبي عثمان النيسابوري : أريد أن أعلق على سفاهة بعض السفهاء في هذه الأيام الذين يتطاولون على الصوفية الكرام لنعلم الحق على التمام ، ويقول في هذا الشريط نفسه الوجه الثاني : بعض السفهاء في هذه الأيام لا يتقي اللّه في أمة نبينا عليه الصلاة والسلام ، وتراه يجعل دندنته في تضليل المسلمين ، والصوفية فرقة ضالة ، وفرقة خبيثة ، فهلا بحثت عن الخبث الذي في نفسك ، والضلال الذي بين جنبيك ، يعني ما فينا إلا أننا نرمي غيرنا بالضلال ؟، وما واحد فينا يحاسب نفسه في يوم من الأيام ماذا عند الصوفية يا من لا تتقي رب البرية ، إخوتي الكرام لا بد من مقارعة هؤلاء بأنهم لا يوجد عندهم إلا هذه المباحث ليل نهار : صوفية صوفية : اهـ كلامه .

والسؤال : فما هي حقيقة الصوفية ووجهها الآخر القبيح وآثارها السيئة على المسلمين ؟

جواب : أما التصوف فهو لم يكن على عهد النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم ، ولا على عهد الصحابة ، وقد أساء أبو نعيم رحمه اللّه في « الحلية » في ذكر جماعة من الصحابة من الصوفية ، أيما إساءة ، فحاشا الصحابة رضوان اللّه عليهم .

وأصل التصوف من حيث هو لفظ مبتدع ، فليس هناك فرقة يقال لها الصوفية ، لأنهم هم أنفسهم اضطربوا في معنى التصوف ، فتارة يقولون : هو من الصفا ، وأجيب عليهم بأنه لو كان من الصفا لقيل فيه : صفوي ، وقال بعضهم : هو من الصُّفَّة ، لأنهم كانوا يلازمُون صُفَّة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وهي المكان الذي أعد للقادمين وليس لهم أهل في المدينة ، وليس من الصُّفَّة ، فلو كانت نسبته إلى الصُفَّة لقيل فيه : صُفِّي ، مثل النسبة إلى مكة مَكِّي ، وقال بعضهم : بل نسبته إلى الصوف ، لأنهم كانوا يلبسون الصوف ، والتسمية إلى الصوف لو جاءت عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أو عن الصحابة كانت مناسبة ، لكن التسمية من حيث هي مبتدعة .

وأظن الرجل يظن أنه يخاطب مجموعة من الشباب القطريين فقط الذين لا يعرفون ما معنى التصوف ، فهناك علماء بأرض الحرمين ونجد ، وعلماء بمصر ، وفي كثير من الأقطار الإسلامية يعرفون ما معنى التصوف .

والصوفية ينقسمون إلى أقسام :

فمنهم من هو متزهد وله شطحات كالجنيد وإبراهيم بن أدهم رحمهما اللَّه ومن سلك مسلكهما .

ومنهم من ربما يفضي به الحال إلى الكفر ويزعم أنه يستغني عن الوحي ويقول : حدثني قلبي عن ربي ، كما ذكر هذا الحافظ في « الفتح » في

الكلام على قصة موسى والخضر وقال : إن القرطبي يقول : من زعم أنه يستغني عن الوحيين بقلبه ويقول : حدثني قلبي عن ربي ، فهو كافر .

ومنهم من أبعد في الضلال فهو يقول : كل ما في الكون هو اللّه .

ومنهم من يقول : إن اللّه حالٌّ في كل شيء ، حتى قال بعضهم في هذا وهو القول الأول : كل ما في الكون اللّه .

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما الرب إلا عابد في كنيسة

وابن عربي الضال الملحد يقول : فرعون موحد وموسى مشرك ، لماذا ؟ لأن فرعون يقول : أنا ربكم الأعلى فهو موحد ، لكن موسى يجعل شركاء للّه عز وجل .

ويقول قبحه اللّه وأخزاه في العذاب : إنه ما سمي عذابًا إلا لعذوبته ، وأن أهل النار يتنعمون . وكل هذه الأشياء موجودة في كتبه وتفاسيره وفتوحاته .

وغلاة الصوفية لا فرق بينهم وبين الشيوعية ، لأنهم يستبيحون جميع المحرمات .

وقد كان هناك عزاء فحضر ابن خفيف - وهو من كبار الصوفية - فقال للنسوة : هل هناك غير - أي غير صوفي - موجود ؟ قالوا : لا غير ، فأطفئت السرج ، ثم دخل الرجال إلى النساء ، من أجل أن يزيلوا ما بهم من الحزن ، ويرتكبوا الفواحش .

فنحن نبرأ من تلك الصوفية ، والصوفية من حيث هي مبتدعة ، لكن منهم من نصب نفسه إلهًا حتى أن أبا يزيد البسطامي يقول : ما في الجبة إلَّا اللَّه .

وهكذا ذكر عن الحلاج الملحد الذي قُتِلَ في الزندقة ، وغيره من الزنادقة الذين قُتِلوا بسبب دعواهم ، دع عنك منامات الصوفية التي يستبيحون بها ما حرم اللَّه .

ونعم إن أبا عثمان رجل فاضل وهو يعتبر مخطئًا في شأن الصوفية ، وإلا فله ترجمة في « سير أعلام النبلاء » ، لكن ليس كل الصوفية كذلك .

وأصل التصوف مبتدع ، والأدلة التي ذكرناها في ذم التقليد كلها تصدق على التحذير من الصوفية ؛ لأنهم دخلوا في التصوف باسم التقليد .

وإنني أحمد اللَّه سبحانه وتعالى ، فقد أصبحت الصوفية ميتة ، فليس لها أثر على المجتمع ، وأينما حلت السنة هربت البدعة ، ونفرت نفورًا .

ولم يبق على إخواننا القطريين حفظهم اللَّه إلا أن يستدعوا علماء من علماء السنة ليشرحوا لهم سنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم .

وأنا متأكد أنه لو جاء سني لهرب الطحان وغير الطحان من المبتدعة .

فأنت أيها الطحان إمامك الحلاج وابن عربي ، أم إمامك ابن سبعين ، أم غيرهم من أئمة الضلال ؟!

أما نحن وجميع المسلمين فإمامنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم الذي يقول : «**وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري**» .

وأبشر بالردود واللطمات تتوالي عليك أيها الطحان من أرض الحرمين ونجد ، ومن الشام ومن المغرب ، ومن مصر ومن اليمن حتى تحترق كما احترق محمد الغزالي ، وكما احترق حسن الترابي وغيرهما . فلا تظن أن تلبيساتك ستنفق .

سؤال : وما ردكم على هذا الرجل الذي يحاول زخرفة كلمة الصوفية ليلبس على شباب النهضة الإسلامية ويبطل قاعدة الجرح والتعديل ؟

جواب : أما تلبيسه فقد لبس من هو قبله ، وبقي مدة في تلبيسه ثم افتضح وانكشفت تلبيساته ، فتلبيسات العبيديين بالمغرب وبمصر ، وتلبيسات علي بن الفضل باليمن ، وتلبيسات الخوارج بالبحرين ، وتلبيسات المختار بن أبي عبيد الثقفي ، وتلبيسات الشيعة في اليمن نحو ألف عام وزيادة وهم مبلسون على اليمنيين ، وانكشف التلبيس ، وتلبيسات الإخوان المفلسين منذ ستين سنة وهم يلبسون على الناس وينقلون الناس من كذبة إلى كذبة ، والآن تجد لهم أنينًا من أشرطة أهل السنة .

فقد أخبرت عن شخص منهم في صنعاء فقد ذهب إليه أناس فإذا هو يئن ويقول : نحن لم نتكلم فيهم وماذا قلنا - يقصد أهل السنة - ،

فأقول : نحن إذا تكلمنا فيكم ، فنحن نتكلم فيكم من أجل مصلحتكم ، لا نريد منكم أن تتنازلوا عن السلطة لنا ، ولا نريد أن تنالكم السلطة بسوء ولا مكروه ، لكنكم أغرقتم في الضلال ، فنريد أن ترجعوا إلى سنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم .

أما هذا المسكين الطحان فقد انكشف تلبيسه فما له في قطر إلا قدر سنتين ، فلعله قد لبس عليهم قدر سنة ، وما أظنه أظهر كل ما عنده من الضلال من أول الأمر ، والحمد للَّه ظهرت الحقيقة ، ثم بعد ذلك يبقى رجلًا إداريًّا على الكرسي الدوَّار ، وتليفون من ههنا وآخر من ههنا ومثل غيره من الموظفين ، ثم يستريح المجتمع منه .

وأما إبطاله لقاعدة الجرح والتعديل التي يطعن فيها فهو مخالف لإجماع من يعتد به .

فموسى عليه السلام يقول لصاحبه : ﴿ **إنك لغويٌّ مبين** ﴾ .

[القصص : ١٨]

ورب العزة يقول في كتابه الكريم : ﴿ **ولا تطع كل حلَّافٍ مهينٍ * همَّازٍ مشاء بنميمٍ * مناعٍ للخير معتدٍ أثيمٍ * عُتُلٍّ بعد ذلك زنيمٍ** ﴾ .

[القلم : ١٠ - ١٣]

وقال البخاري في « صحيحه » في آخر كتاب الجنائز : باب ذكر شرار الموتى ، ثم ذكر قوله تعالى : ﴿ **تبت يدا أبي لهبٍ وتب * ما أغنى عنه**

ماله وما كسب * سيصلى نارًا ذات لهبٍ * وامرأته حمَّالة الحطب * في جيدها حبلٌ من مسد ﴾ [المسد: ١- ٥]، فقد ذُكر هو وامرأته بالسوء وبالوعيد الشديد.

والنبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول لمعاذ عند أن أطال في الصلاة: « **أفتان أنت يا معاذ** ».

ويقول لأبي ذر عند أن عيَّر رجلًا بأمه: « **إنك امرؤ فيك جاهلية** ».

ويقول لأنصاري ومهاجري عند أن اختصما، وقال الأنصاري: ياللأنصار، وقال المهاجري: ياللمهاجرين، قال: « **أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، دعوها فإنها منتنة** ».

ويقول في نسائه: « **إنكن صواحب يوسف** ».

ويقول كما في « صحيح البخاري »: « **ما أظن فلانًا وفلانًا يعرفان من ديننا شيئًا** ».

وفي « الصحيح » من حديث عائشة أن رجلًا استأذن عليه: فقال: « **بئس أخو العشيرة** ».

ويقر هند بنت عتبة عند أن قالت: إن أبا سفيان رجل شحيح.

ويقول أيضًا لرجل عند أن سجع وأراد أن يبطل حكم اللَّه: « **إن هذا من إخوان الكهان** » من أجل سجعه.

ويقول النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « **هلك المتنطعون** » . وهم المتعمقون في الأمور .

فالأدلة متكاثرة على جواز الجرح والتعديل ، وقد ذكرنا بحمد اللَّه الكثير الطيب في « الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين » .

وقد استدل العلماء بحديث العرباض بن سارية المتقدم على جواز جرح أهل البدع .

والرجل يعرف أن الناس سيجرحونه ؛ لأنه قد أغرق في الضلال فهو يأخذ لنفسه احتياطًا أن الجرح والتعديل لا يجوز .

فاستدل العلماء بحديث العرباض بن سارية المتقدم لأن فيه : « **وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار** » .

والنبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « **إن اللَّه حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته** » .

ففي الحديثين جرح لأصحاب البدع .

فقد أجمع العلماء الذين يعتد بهم على جواز الجرح والتعديل .

فالشافعي يقول : من روى عن البياضي بَيَّض اللَّه عيونه .

ويقول : الرواية عن حرام بن عثمان حرام .

ويقول بعض المحدثين في عبد السلام بن صالح أبو الصلت الهروي : إنه أكذب من روث حمار الدجال .

ويقول أبو حنيفة في جابر بن يزيد الجعفي : ما رأيت أكذب منه .

ويقول الذهبي في رتن : رتن وما رتن ؟ دجال من الدجاجلة ادعى الصحبة بعد ستمائة عام .

والنبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « **سيأتي ثلاثون كذابوان دجالون كلهم يزعم أنه نبي** » .

ويقول في الخوارج : « **إنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية** » .

ويقول أيضًا في الخوارج : « **إنهم كلاب أهل النار** » .

فهذا دليل على جرح المجروحين سواء أكانوا فسقة ، أم كانوا مبتدعة ، والمبتدعة يعتبرون فسقة .

فكتب العلماء مملوءة بالجرح مثل : « **العلل** » للإمام أحمد ، و « الجرح والتعديل » ، لابن معين ، و « التاريخ الكبير » ، و « الأوسط » ، و « الصغير » للبخاري ، و « الجرح والتعديل » لابن أبي حاتم ، و « الكامل » لابن عدي ، و « التاريخ » للخطيب ، و « الضعفاء » ، للدارقطني ، و « الضعفاء » لابن الجوزي ، و « ميزان الاعتدال » للذهبي ، و « لسان الميزان » للحافظ ابن حجر ، ومازال العلماء يتناقلون هذه الكتب ويجرحون المجروح . وكان شعبة يقول لأصحابه : تعالوا نغتب في اللّه .

وهكذا الإمام أحمد ، وقد قال له بشر بن الحارث الحافي : لا تغتابوا الناس ، فقال : إذا سكتنا فمن يبين ما هم عليه .

والمبتدعة من زمن قديم وهم يطعنون في كتب الجرح والتعديل حتى قال بعض الشيعة :

في كفة الميزان ميل راجح عن مثل ما في سورة الرحمن
فاجزم بخفض النصب وارفع رتبة للآل واكسر شوكة الميزان

وقال آخر قبله يقال له بكر بن حماد :

ولابن معين في الرجال مقالة سيسأل عنها والمليك شهيد
فإن يك حقًّا فهي في الحكم غيبة وإن يك زورًا فالوعيد شديد

ورد عليه كما في « جامع بيان العلم وفضله » لابن عبد البر ، ورد عليه أهل السنة بقصيدة طنانة .

فعلماؤنا رحمهم اللَّه من زمن قديم وهم يتكلمون ويتقربون إلى اللَّه عز وجل .

وإذا كان الرجل صالحاً وهو يهم في الحديث ويغلط غلطًا كثيرًا فإن أهل العلم يذكرون صلاحه ويحذرون من الأخذ عنه ، وليست قاعدة ذكرالحسنات والسيئات مطردة .

والأصل في أعراض الناس أنها محترمة، فلا يجرَّح كل أحد، ولا يجرح عن هوى، بل لا بد أن يتقي اللَّه، وأن يعلم أن اللَّه عز وجل يقول: ﴿**ما يلفظ من قولٍ إلا لديه رقيبٌ عتيدٌ**﴾ [ق: ١٨].

ويقول النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام؛ كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**».

ويقول أيضًا: «**أتدرون من الغيبة؟**» قالوا: اللَّه ورسوله أعلم. قال: «**ذكرك أخاك بما يكره وإن كان فيه**»، قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**».

فالأصل في أعراض الناس أنها محرمة، ولا تجوز غيبتهم إلا لمصلحة دينية، وقد ذكرها بعضهم في قوله:

الذم ليس بغيبة في ستة متظلم ومعرف ومحذر
ولمظهر فسقًا ومستفت ومن طلب الإعانة في إزالة منكر

وقد ذكرها النووي رحمه اللَّه في «رياض الصالحين»، وفي «الأذكار» أنه لا بأس أن يذكر الشخص، وأنا أنصح بالرجوع إلى كتب الجرح والتعديل حتى يعلم أن هذا كلام من يغالط ويلبس على الشباب.

سؤال : يعتقد عبد الرحيم الطحان أن الموتى يرون ويسمعون ويشعرون أكثر من شعور الأحياء ويفرحون في المقابر ، ففي شريط (تعذيب الميت ببكاء أهله) يقول : هذا الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، ولم يتسبب في تلك المعصية ، ويحزن ويتألم لأنه فعل عنده معصية ، ولو قرؤوا بجواره سورة ﴿ يس ﴾ و ﴿ قل هو اللّه أحد ﴾ لفرح وسر وانشرح صدره ، وطار فرحًا لأنه حصل بجواره طاعة ، ويقول لمن يقضي حاجته عند القبور : فاستحِ يا عبد اللّه من قضاء الحاجة عند القبور ، فواللّه إنهم يرون سوأتك وعورتك ، ويقول في شريط (خاتم النبوة) : إن الأموات يصلون في قبورهم ، فيا فضيلة الشيخ : أليست هذه دعوة صريحة إلى دعاء أصحاب القبور ، وأن هذا الرجل يزخرف الباطل تضليلًا للمسلمين ، ويسلك مسلك القبوريين في ادعاء أن أصحاب القبور يرون ويسمعون ويستجيبون ، واللّه تعالى يقول : ﴿ **وما أنت بمسمع من في القبور** ﴾ . [فاطر : ٢٢] ؟

جواب : أما قوله : إن الموتى يرون ويسمعون ويشعرون أكثر من شعور الأحياء ، فهذه فرية ما فيها مرية ، والنبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم عند أن يقول : « **يا رب أمتي ، يا رب أمتي** » في عرصات القيامة . يُقال له : « **إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . إنهم مازالوا مرتدين على أدبارهم منذ فارقتهم** » .

فيقال للطحان : أين الدليل الصحيح ، ورب العزة يقول في كتابه الكريم : ﴿ **فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين * وما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا** ﴾ [النمل : ٨٠، ٨١] .

فهذا دليل على أن الأموات لا يسمعون ، وهو في هذا قد عدل عن مذهب أئمته الحنفية إلى مذهب صوفي ؛ لأن هناك كتابًا قيمًا بعنوان « الآيات البينات في عدم سماع الأموات وهو مذهب الحنفية السادات » .

نعم ورد أن النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم قال في الميت : « **إنه ليسمع قرع نعالهم** » . فهذه خصوصية .

وجاء أيضًا في أصحاب قليب بدر أن النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم عند أن ناداهم وقال لهم : « **هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا ؟** » ، فقال له عمر : كيف تكلم يا رسول اللّه أجسادًا لا روح فيها ؟ فقال : « **ما أنتم بأسمع لكلامي منهم** » . أو بهذا المعنى .

فهذا يعتبر خاصًّا بأصحاب القليب ويكون دليلًا من دلائل النبوة .

فنؤمن في هذين الموضعين بهذا ، وأما ما عداه فالأصل في الميت والموتى أنهم لا يسمعون ، ولا يستطيعون أن يتكلموا ، فإن اللّه عز وجل يقول في كتابه الكريم : ﴿ **فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون** ﴾ .

[يس : ٥٠]

وأما قوله : إن هذا الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، ولم يتسبب في تلك المعصية ويحزن ويتألم ، لأنه فعل عنده معصية ، ولو قرءوا بجواره سورة ﴿ **يس** ﴾ و ﴿ **قل هو اللَّه أحد** ﴾ لفرح وسر وانشرح صدره وطار فرحًا ، لأنه حصل بجواره طاعة .

فأقول : أما تعذيب الميت ببكاء أهله عليه فعائشة تقول : قال اللَّه تعالى : ﴿ **ولا تزرُ وازرةٌ وزر أخرى** ﴾ [الإسراء : ١٥] .

وقد حمله العلماء على أنه إذا قصر في تربيتهم ، أو لم ينههم عن البكاء كما كان في الجاهلية ، بل ربما أوصى بعضهم أهله بالبكاء كما قال بعضهم :

إذا مـت فابكيني بمـا أنـا أهلـه وشقـي عليَّ الجيـب يـا ابنـة معبـد

فقد كانوا يوصون بأن يبكى عليهم ، والذي يوصي بأن يبكى عليه حقيق بأن يعذب ، ويكون هو السبب في تعذيب نفسه .

أو الذي قصر في تعليم أهله ؛ لأن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « **ما من راعٍ يسترعيه اللَّه رعية ، ثم لم يحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة** » ، ويقول : « **كلكم راعٍ ، وكلكم مسئول عن رعيته** » .

أما قراءة القرآن عند القبر ، فلم يثبت عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم لا ﴿ **يس** ﴾ ، ولا غيرها ، وحديث : « **اقرءوا على موتاكم يس** » ، فإنه حديث ضعيف ، لأنه من طريق أبي عثمان وليس بالنهدي ، وقد

اضطرب فيه ، فتارة يرويه عن أبيه عن معقل بن يسار ، وأخرى يرويه عن معقل بن يسار ، ثم هو مجهول أيضًا . فالحديث لا يثبت .

ولم يثبت شيء في القراءة على الأموات إلا الصلاة ، فإنه يثاب على الصلاة التي هي صلاة الجنازة ، فإن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « **من صلى عليه أمة من الناس لا يشركون باللَّه شيئًا إلا شفعهم اللَّه فيه** » . فهو يثاب بصلاتهم عليه .

أما مسألة القراءة فالإمام الشافعي رحمه اللَّه يقول : لا تصل إليه القراءة ، واستدل بقوله تعالى : ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى** ﴾ .

[النجم : ٣٩]

فالقراءة عند قبر الميت تعتبر بدعة ، وأنا متعجب جدًّا جدًّا ، فكأن هذا الرجل نصب نفسه محاميًا عن الضلال ، ومدافعًا عن البدع .

وأما قوله للذي يقضي حاجته في المقابر : واللَّه إن الموتى يرون سوأتك وعورتك .

فأقول : إن هذه يمين ، وإن كان يعلم كذب نفسه فهي يمين غموس ، ويمين الغموس ليس لها كفارة إلا التوبة الصادقة ، وإذا كانت تتعلق بحق مخلوق رده أو تحلل منه ، والأموات كما تقدم لا يسمعون ، ولا يرون ، وبعضهم يقول : إنهم يسمعون إذا سلم عليهم إذا قيل : السلام عليكم ، لكن أين الدليل على ذلك ؟ وهكذا الجلوس على القبر ، وقضاء الحاجة في

المقبرة لا يجوز، لأن النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم يقول: «**لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه حتى تخلص إلى جسده أهون من أن يجلس على قبر**». فبعض أهل العلم فسره بالجلوس المعتاد، وبعضهم فسره بجلوس قضاء الحاجة، وقضاء الحاجة بين المقابر لا يجوز.

سؤال: ويقول الطحان في شريط (خاتم النبوة) الوجه الثاني: إن الأموات يصلون في قبورهم؟

جواب: أين الدليل على هذا؟ وقد ورد أن النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم مر بموسى عليه السلام ليلة الإسراء وهو يصلي في قبره، كما جاء في «صحيح مسلم».

أما بقية الأموات فهذه أمور غيبية لا يحل لأحد أن يتقول على اللّه سبحانه وتعالى، فرب العزة يقول في كتابه الكريم: ﴿**قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا باللّه ما لم ينزل به سلطانًا وأن تقولوا على اللّه ما لا تعلمون**﴾.

[الأعراف: ٣٢]

سؤال: يزعم الطحان أن المسلمين ينتفعون من نبيهم وهو ميت، فيقول في شريط (خاتم النبوة) الوجه الثاني: إخواتي الكرام: وكما كان المسلمون ينتفعون بنبيهم الميمون عليه الصلاة والسلام في حياته؛ فالنفع لا ينقطع بعد موته، ويحصل لهذه الأمة من الخير الكثير الوفير

من نبيها عليه الصلاة والسلام بعد موته كما يحصل لها من الخير الكثير الوفير في حياته ، واستدل بحديث : « حياتي خير لكم ، ومماتي خير لكم » ، أليس هذا غلو في النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وأنه اعتقاد باطل ؟

جواب : نعم هو غلو في النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، وقول بلا برهان ولا دليل ، والكلام على حديث : « **حياتي خير لكم ، ومماتي خير لكم** » ، في « الصارم المنكى » في الثلث الأخير منه .

فأنصح بقراءته وهو حديث مرسل ، والمرسل من قسم الضعيف ، فهو حديث لا يثبت عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم .

وقد حصلت مشاكل في عهد الصحابة ، فلماذا لم يذهب الصحابة رضوان اللَّه عليهم إلى قبر النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ؟ مثل ما حدث بين عثمان ومخالفيه ، وبين معاوية وعلي ، وقبلهم طلحة والزبير .

وحدثت أمور عظام جسام في زمن التابعين فمن بعدهم ، فما ذهب ذاهب من العقلاء يقول : يا رسول اللَّه ما الحل في هذه القضية ؟

سؤال : يقول الطحان في شريط (خاتم النبوة) الوجه الأول : إن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم كان مختونًا في بطن أمه ، ويقول أيضًا : إنه ولد يضحك مسرورًا وحبل سرته مقطوع ، فما صحة هذا القول ، وهل المسألة خلافية كما قال ؟

جواب : أما ما ورد أنه ولد مختونًا فلم يثبت هذا ، فالحديث ضعيف أو موضوع . وكذلك أنه ولد مسرورًا ، والأصل في النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أنه بشر : ﴿ **قُل إنما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إليَّ أنما إلـهُكم إلهٌ واحدٌ** ﴾ [الكهف : ١١٠] .

ويقول النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم عند أن نسي في الصلاة : « **إنما أنا بشر ، فإذا نسيت فذكّروني** » .

فالأصل أنه بشر يجري عليه ما يجري على البشر ، إلا ما خصه الدليل الصحيح من آية قرآنية أو حديث نبوي .

سؤال : أُنكر على الطحان تسمية المدينة النبوية بالمدينة المنورة ، ذكر هذا في شريط (تعظيم أولياء اللَّه) ، فقال مستنكرًا : يعني هي مدينة مظلمة ؟! لا إله إلا اللَّه ، أما ثبت عن أنس بإسنادٍ صحيح أن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم عندما دخل المدينة أضاء فيها كل شيء ، أما تنورت بالنبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وأشرقت ؟. اهـ .

جواب : أما تسميتها بالمدينة المنورة فلم يثبت هذا ، والنبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم سماها : طيبة ، وسماها : طابة ، وممكن أن تقول : مدينة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم .

وهذا الحديث الذي استدل به هو حديث صحيح ، وقد ذكرناه في « الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين » لكنه لا يدل على ما يريد فهي

إضاءة معنوية ، فقد استبشر الناس بقدوم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، وفرحوا فرحًا شديدًا حتى أنه من فرحهم وسرورهم كأنهم شاهدوا الأرض مستنيرة ، فهو نور معنوي وليس نورًا حسيًّا ، وهذا موجود بكثرة ، فهم يسمون العلم نورًا ، فهل إذا قرأت « صحيح البخاري » تجد له نورًا مضيئًا ؟ وغير ذلك .

فهو نور معنوي ، وليس نورًا حسيًّا ، وفي الحديث نفسه : (فلما مات أظلم كل شيء) ، فيقال لهذا المهووس : أفنسميها المدينة المظلمة لأنه آخر الأمرين ، أما نحن فنقول : إنه نور كناية عن الفرح والسرور ، والظلام كناية عن الحزن والأسى .

سؤال : يقول الطحان في شريط (تعظيم أولياء اللَّه) : رقم (١) : إن نظرة إلى النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم تعدل عبادة آلاف السنين ، والنظرة إلى الصحابة تعدل عبادة آلاف السنين ؟. فما ردكم فضيلة الشيخ على هذه المقالة ؟

جواب : هذا أمر يفتقر إلى دليل ، والنظر إلى النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم كان من الصحابة من يهابه ، ولا يستطيع أن يملأ نظره من النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم . ولو كان كذلك لأَبْدوا النظر إليه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم . فلا دليل على ذلك ، وشرف الصحبة أمر عظيم لا يعادله شيء ، لكن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قد نظر إليه المنافقون ، ونظر إليه اليهود ، ونظر إليه الوفود والرسل من قِبَل أعداء

الإسلام ، فهل نقول إن عبادتهم كذا وكذا ؟ وقد ورد حديث أن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : « **النظر إلى علي عبادة** » ، وقد أورده ابن الجوزي في « الموضوعات » ، وهو حديث باطل موضوع لا يثبت عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم .

سؤال : يقول أيضًا : إن رؤية النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم في اليقظة لا بأس بها ، وقال : إنها حصلت لنور الدين الشهير بالزنكي ، يقول هذا في شريط (خاتم النبوة) الوجه الثاني ، فما هو مذهب أهل السنة والجماعة في رؤية النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقظة ؟

جواب : النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم مات ويحصل عليه ما يحصل للبشر ، وقد حدثت مشاكل للصحابة ، ولو كان ممكنًا رؤيته لذهبوا إلى قبره يستفتونه في هذه المشاكل ، فهذه نزعة صوفية ، فنقول له : أين دليلك على هذا ؟ ولا دليل عليه .

سؤال : الطحان يغلو في التبرك فيقول في شريط (خُلق النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم) الوجه الثاني في شأن أم المؤمنين خديجة رضي اللَّه عنها يقول : وليتنا كنا مكانها ، واستدل بقول ورقة للنبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : يا ليتني كنت فيها جذعًا إذ يخرجك قومك ، قال الطحان : قال علماؤنا : فيه جواز تمني المستحيل ، وهذا منه ، ويقول أيضًا لمن رد عليه في هذه المسألة ونصحه : أن يحمد اللَّه –

أي الطحان – أن جعله رجلًا ، فرد الطحان قائلًا : أنت تعد نفسك رجلًا ، يا ليتك دابة يركبك الحسن ، خير لك من رجولتك التي تزعم ، وأي شرف لك أن تكون للحسن أو للحسين ، ويقول أيضًا في شريط (تعظيم الأولياء) رقم (١) الوجه الأول ، في شأن التبرك : ليتنا كنا نساء وحظينا بريق الحسن ، ومن يحظى بريق الحسن ؟ وقال أيضًا في نفس الشريط : واللّه لو أدركنا الحسين لمسحنا نعل الحسين بلحانا ، وفي ذلك شرف لنا وفخر ، واستدل بأثر عن أبي هريرة أنه مسح نعل الحسين بثوبه من تراب أصابه إثر رجوعه من جنازة .

وقال الإمام الذهبي ردًّا على من يقول : إن نظرة إلى الإمام أحمد تعدل عبادة سنة ، قال الطحان ردًّا على الإمام الذهبي : لِمَ الغلو ؟ وأي غلو في ذلك عندما ينظر الإنسان إلى هذا الوجه المنوَّر المبارك إمام أهل السنة والجماعة فيزداد ثبوتًا ورسوخًا في السنة وجدًّا واجتهادًا في الطاعة ، وقد كان النظر إلى أئمتنا وسلفنا يتداوى به ويستشفى به ، وكانوا يقولون : من لا ينفعك لحظه ، لن ينفعك لفظه ووعظه .

ويقول أيضًا : عندما نتحدث في فضائل الإمام أحمد كأننا نقول : لا إله إلا اللّه ، سبحان اللّه والحمد للّه ، هؤلاء أولياء اللّه ، ذكر أحمد من مجالس الذكر ، فعندما نذكره ذكرنا اللّه ، هكذا يقول الطحان .

ويقول : عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ، وتقدم معنا قول الإمام أحمد في العبد الصالح صفوان بن سليم أنه يستشفى بحديثه ، وينزل القطر –

أي : ماء السماء – عند ذكر اسمه ويقول : كما في شريط (خلق النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم) الوجه الثاني : قد قَبَّلَ ثابت البناني يد أنس ؛ لأنه قَبَّلَ النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم .

ويقول أيضًا : يستحب تقبيل فم الحاج الذي سلَّم على الحجر الأسود ، ويقول أيضًا بجواز مص لسان من حدث عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، واستدل بفعل سهل بن عبد اللَّه التستري مع أبي داود ، وعزاه إلى « سير أعلام النبلاء » ، ويستدل أيضًا على جواز التبرك بأقوال بعض العلماء كابن حجر والذهبي وغيرهم ، كما يستدل بقياس ذوات الصالحين على ذات النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم .

ويستدل أيضًا بحديث ورد عن ابن عمر أن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم كان يرسل إلى المطاهر فيؤتى بالماء ليشربه يرجو بركة المسلمين .

ويقول : يجوز تقبيل الميت تعظيمًا وتبركًا ، واستدل بفعل أبي بكر ، وقال : لم ينكر عليه الصحابة فهو إجماع .

سؤال : هل يجوز التبرك بآثار الصالحين ؟

جواب : رب العزة يقول في كتابه الكريم : ﴿ **ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على اللَّه الكذب إن الذين يفترون على اللَّه الكذب لا يفلحون** ﴾ [النحل : ١١٦] ، ويقول سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : ﴿ **قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** ﴾ [البقرة : ١١١] ، فلا بد من إقامة البرهان على ما ذكر .

أما التبرك بالنبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، فقد كان الصحابة يتبركون به ويتبركون بثيابه وبتفاله كما في غزوة الحديبية ، ويستشفون كما في حديث أسماء ، وهذا خاص بالنبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، فلم ينقل أنهم تبركوا بأبي بكر ولا بعمر ولا بعثمان ، ولا أن الصحابة المعتد بهم تبركوا بعلي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه .

فهذا دليل على الخصوصية ، وحقيقة البركة هي : ثبوت الخير الإلهي في الشيء .

واللَّه سبحانه وتعالى هو الذي يجعل في هذا الشيء بركة ، وما حدث من بعض أفراد الأمة بعد الصحابة فليس بحجة ، فالحجة : كتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، وعمر رضي اللَّه عنه كما في « الصحيحين » عند أن قَبَّلَ الحجر الأسود قال : إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقبلك ما قبلتك .

والعلماء قد ألفوا في كرامات الأولياء وتعظيم الصالحين بما هو مشروع ، أمر مطلوب : ﴿**ومن يعظم شعائر اللَّه فإنها من تقوى القلوب**﴾ [الحج : ٣٢] ، والنبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول لأبي بكر وقد تكلم على جماعة من فقراء المهاجرين والأنصار عند أن قال قائلهم : ما أخذت سيوف اللَّه من أبي سفيان ما أخذت ، قال : بئس ما تقولون . تقولون هذا لشيخ قريش ، ثم أخبر النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله

وسلم ، فقال له : « **لعلك قد أغضبتهم ، فإنك إن أغضبتهم فإنك قد أغضبت ربك** » ، فرجع إليهم أبو بكر وقال : يا إخواني هل أغضبتكم ؟ قالوا : لا ، يغفر اللَّه لك .

فلا نتنقص أولياء اللَّه ، ونبينا محمد صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول فيما يرويه عن ربه : « **من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب** » .

وإذا كان النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « **لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد ، فقولوا عبد اللَّه ورسوله** » . رواه البخاري من حديث عمر.

ويقول أيضًا كما في حديث عبد اللَّه بن الشخير ، وقد قدموا وافدين إلى النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، فقال بعضهم : يا سيدنا وابن سيدنا ، ويا خيرنا وابن خيرنا ، فقال : « **أيها الناس قولوا بقولكم أو ببعض قولكم ؛ ولا يستجرينكم الشيطان** » .

ويقول أيضًا كما في حديث أنس وقد قالوا : سيدنا وابن سيدنا ، فذكروا نحو ما تقدم ، فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « **ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي** » .

وهكذا العلماء الأتقياء الأفاضل لا يحبون أن يرفعوا فوق منزلتهم .

فهذه الأشياء تحتاج إلى براهين بالأسانيد الصحيحة ، وإذا ثبتت فهي ليست بحجة .

فنحن نعظم الأولياء في حدود الكتاب والسنة : ﴿ **يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلَّا الحق** ﴾ [النساء : ١٧١] ، ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله** ﴾ .

[التوبة : ٣١]

فلا نغلو في أئمتنا ، بل نحبهم حبًّا شرعيًّا ، ونستغفر لهم : ﴿ **والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا** ﴾ [الحشر : ١٠] .

أما أن نتمسح بهم ، أو نعتقد أنهم ينفعون ويضرون مع اللَّه ، أو من دون اللَّه ؛ فهذا لم يثبت .

والصوفية والمبتدعة يغلون في جانب - أي : الجانب السهل عليهم - فما أسهلها أن تأخذ شخصًا وتتمسح بترابه ، لكن العمل الذي قام به أولئك من الدعوة إلى اللَّه ، والوقوف في وجوه الظلمة ، والجهاد في سبيل اللَّه ، والعلم والمثابرة عليه وعلى تحصيله وتبليغه ، فهل قام الصوفية بهذا وخصوصًا العصريين ؟ أم صار شأنهم : حدثتني جدتي عن عمتي ؟!

فأين أنت يا مسكين من إبراهيم بن أدهم ، وهكذا غيره من الأفاضل من الصوفية ؟ فهل سمعت أن إبراهيم بن أدهم قال لمسلم من المسلمين إنه سفيه ؟!

وهل قال أحد من الصحابة رضوان اللَّه عليهم إنه يود أن يكون زوجًا لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم؟ وهل قال أحد من الصحابة والتابعين أنه يود أن يكون زوجًا للحسن أو الحسين؟!

فما أنت إلا بدعة، وتأتي بالبدعة، وتجادل عن الضلال، وإن شاء اللَّه سيخرج كتاب بعنوان: «**إقامة البرهان على ضلال عبد الرحيم الطحان**»، فياليتك سترت نفسك وعلَّمت ودرَّست في «صحيح البخاري»، و«صحيح مسلم»، وهكذا في كتاب «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، وغيرها، وسكت، فالذي يظهر أنك رجل ملبَّس عليك، وأنا أتحداك أن تأتي من زمن الصحابة إلى الآن أن شخصًا تمنى أن يكون زوجًا للحسين بن علي، أو أنه زوج لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم.

واللَّه عز وجل يقول في كتابه الكريم: ﴿**الرجال قوامون على النساء بما فضل اللَّه بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم**﴾ [النساء: ٣٤]، والنبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول: «**استوصوا بالنساء خيرًا، فإنهن خلقن من ضِلَع، وإن أعوج ما في الضِّلَع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل به عوج**». متفق عليه من حديث أبي هريرة.

ورب العزة يقول في كتابه الكريم: ﴿**وليس الذكر كالأنثى**﴾.

[آل عمران: ٣٦]

ويقول أيضًا عند أن أراد المشركون أن يجعلوا للَّه الإناث : ﴿ **تلك إذًا قسمة ضيزى** ﴾ [النجم : ٢٢] .

ويقول النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « **ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن** » .

فاللَّه عز وجل كَمَّلَكَ وجعلك رجلًا وجعل لك عقلًا ، وأنت تتمنى أن تكون امرأة ، ويكون لك ربع عقل أو نصف عقل ، وأظنك قد حصلت على ما تمنيت ؛ فكلامك ككلام من يهرف بما لا يعرف .

وهل من مَنْقَبة للحسين بن علي أن تكون زوجًا له ؟ فربما لا يريدك ، والحسين بن علي إذا خطب أي امرأة فيفرح أهلها ، لأنه ابن بنت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم .

فهذا كلام من يهوِّس ، وكلام صاحب هوس يحتاج إلى كيَّة في رأسه ، فلعله قد اختل عقله ، فكلامه ليس كلام رجل عاقل ، فينبغي أن يعالج ويذهب به إلى الأمراض النفسية ، أو يذهب به إلى الذين يقرءون على الممسوسين ، فربما يكون شيطانًا يتكلم على لسانه .

وأما الحديث : أن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يتوضأ من مطاهر المسلمين رجاء بركتها ، فقد ذكره الشوكاني في « الفوائد المجموعة » (ص ١٢) .

وقال : ذكره الفيروزبادي في « المختصر » .

وقال المعلمي : والخبر فيما أرى منكر .

وإليك الكلام عليه :

ذكره الشوكاني في « الفوائد المجموعة » (ص ١٢) : وقال : ذكره الفيروزآبادي في « المختصر » .اهـ .

وذكر المعلمي في تعليقه أنه رواه الطبراني في « الأوسط » ، وأنه حديث منكر .

قال أبو عبد الرحمن : وإليك سنده من « مجمع البحرين » (ج١ ص ٣١٠) للهيثمي فقال الطبراني رحمه اللَّه :

حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني ثنا محرز بن عون ثنا حسان بن إبراهيم الكرماني عن عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر .

وفي الحديث : وكان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يبعث إلى المطاهر فيؤتى بالماء فيشربه يرجو بركة المسلمين .

قال أبو عبد الرحمن : هذا حديث لو صح لقلنا به ، فإنه لا يمنع أن يكون لأفراد المسلمين بركة من اللَّه ، والبركة : هي ثبوت الخير الإلهي - ولكن في رواية عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع ضعف .

قال الإمام الذهبي في « السير » (ج٧ ص ١٨٧) بعد أن ذكر ثناء أهل العلم على عبد العزيز : وقال ابن حبان : روى عن نافع عن ابن عمر نسخة موضوعة ، وكان يحدث بها توهمًا لا عمدًا .

قال الذهبي : قلت الشأن في صحة إسنادها إلى عبد العزيز ، فلعلها قد أدخلت عليه . اهـ .

حديث آخر ذكره ابن الجوزي رحمه اللَّه في « العلل المتناهية » عن أبي أمامة وعبد اللَّه بن بشر وجماعة من أصحاب النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : الشرب من فضل وضوء المؤمن فيه شفاء من سبعين داء أدناه الهم .

قال ابن الجوزي رحمه اللَّه : هذا حديث لا يصح عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم .

قال يحيى بن معين : العكاشي كذاب (يعني : محمد بن إسحاق العكاشي) ، وقال ابن عدي : يروي أحاديث مناكير موضوعة .اهـ .

سؤال : يقول الطحان كما في شريط (حوادث شق صدر النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم) الوجه الأول : وفيما يتعلق بعد ذلك بوالد النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وجده وأمه ، ومن مات قبل البعثة بفترة نقول : يمتحنون في عرصات الموقف ؟. اهـ كلامه . فما صحة هذا القول ؟

جواب : هذا القول قال به بعض أهل العلم ، لكنه ورد في « صحيح مسلم » أن أعرابيًا أتى إلى النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، فقال : يا رسول اللَّه أين أبي ؟

قال : « **أبوك في النار** » ، ثم ذهب الأعرابي ، وقد امتقع لونه ، فأمر به فَرُدَّ ؛ وقال : « **إن أبي وأبكاك في النار** » .

وقد ذهب النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ليزور قبر أمه ، فأذن له بالزيارة ، ولم يؤذن له بالدعاء ، ثم رجع وهو يبكي ، فقال الصحابة : ما أباك يا رسول اللَّه ؟ قال : « **إني استأذنت ربي في الزيارة فأذن لي ، واستأذنته في الاستغفار لأمي فلم يأذن لي** ».

فالصحيح من أقوال أهل العلم أن أبوي النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ماتا مشركين ، وأنهما في النار ، وقد ورد الاختبار كما في حديث أبي هريرة والأسود بن سريع أن أناسًا يختبرون منهم : الأبله والأصم والأبكم في عرصات القيامة ، فيخرج لهم عنق من النار ، فيقال : ادخلوا فيه ، فمنهم من يدخله ، ومنهم من لا يدخله ، فيقول : أنتم عصيتموني الآن ، فأنتم أشد عصيانًا لرسلي ، فيؤمر بهم أن يدخلوا النار .

ورب العزة يقول في كتابه الكريم : ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً** ﴾ [الإسراء : ١٥] .

ويقول اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿ **وما كان اللَّه ليضل قومًا بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون** ﴾ [التوبة : ١١٥] .

يقول العلامة الشنقيطي رحمه اللَّه : إن الأصل في أهل الفترة أنهم يختبرون ، إلا ما خصه الدليل كأبوي النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله

وسلم ، وعمرو بن لحي ، وصاحب المحجن الذي كان يسرق حاجات الحجيج ، وإلا فالأصل في أصحاب الفترة أنهم يختبرون.

وهؤلاء الذين قد أخبر النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم عنهم بأنهم من أصحاب النار فيحمل على أنه كان لديهم بقايا من دين إبراهيم .

سؤال : يقول الطحان في شريط (أحكام اللقيط وأحكام الرقيق) (١) الوجه الأول : إن الدولة الإسلامية هي التي تكون فيها الحكومة مسلمة ، ولو كان كل أهلها كفارًا إلا واحدًا ، والدولة الكافرة هي التي تكون الحكومة كافرة ولو كان أهلها مائة في المائة مسلمين .اهـ كلامه .

واستدل على ذلك بأن أرض أهل الذمة إن حَكَمَها الإسلام فهي أرض إسلام ، وإن كان أهلها كفارًا ، فما ردكم على هذه المقالة ؟

جواب : هي مقالة قال بها بعض أهل العلم المتقدمين ، والصحيح أن المعتبر هو الغلبة ، فلو كان الشعب مسلمًا والحاكم شيوعيًّا أو بعثيًّا أو ناصريًّا وبقية الشعب مسلم لا يحكم على المجتمع بأنه كافر ، إذا كان الشعب يعمل بكتاب اللّه وسنة رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم .

أما إذا كان الشعب متابعًا للحكومة على الكفر فذاك ، لكن إذا كان غير متابع لها كما هو شأن كثير من الشعوب ، فإن الحاكم يكون بعيدًا عن الدين ، والشعب يكون محبًّا للدين .

سؤال : يقول الطحان : ما احتمله الدليل وقال به إمام جليل فليس ببدعة ، مثل القبض بعد القيام من الركوع ، فقد قال به الإمام أحمد ، وقد احتمله الدليل فلا يجوز القول بأنه بدعة ؟

جواب : لا بأس بهذا ، لكن إذا عمل إمام جليل بأمر ولم يثبت على عهد النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم حتى ولو كان لديه عمومات ، والثابت عن النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم خلافه فإنه يعتبر بدعة .

بقي الشخص نفسه أيعتبر مبتدعًا أم لا ؟ فإذا كان منهجه البدعة مثل إقامة الموالد والاحتفال بليلة سبعة وعشرين من رجب ، وليلة النصف من شعبان ، ورأس السنة الهجرية ، فالرجل يعتبر مبتدعًا ولا كرامة .

لكنه إذا كان سنيًّا ووقع في بدعة فنقول : إن العمل الذي قام به بدعة ، ولا نحكم على الرجل بأنه مبتدع .

سؤال : قد يقول قائل في رد العلماء على الطحان : إنه من قبيل جرح الأقران فهل يسلم له في ذلك ، وما ضابط جرح الأقران ، كما عند أهل المصطلح ؟

جواب : سؤال حسن ، جرح الأقران الذي هو مردود إذا علم أن هناك هوى ، أو تنافسًا على دنيا ، وإلا فأكثر الجرح والتعديل يكون من جرح الأقران ، وهو أدل على التثبت وعلى الثبوت ، فيحيى بن معين إذا جرح قرينًا له تطمئن النفس من أن يجرح رجلًا تابعيًّا ، لأنه لم يدرك ذلك

التابعي ، وإنما ينظر إلى حديثه فيجده يخالف الثقات فيحكم عليه بالجرح . فما كل جرح الأقران مردود .

بل الأصل في جرح الأقران أنه مقبول إلا إذا علم أن هناك تنافسًا دنيويًّا أو تنافسًا في العلم إلى غير ذلك ، أو عداوة بينهما فينبغي أن يتأنى ، كما قال الحافظ الذهبي في أبي نعيم وفي ابن مندة ، وكما قال في ابن حبان وقرينه الذي تكلم فيه ، وفي غيره من العلماء الذين يتكلمون في أقرانهم لمنافسة بينهم .

سؤال : فبعد ما سمعت يا فضيلة الشيخ من زخرفته للقول ، ومن تلبيسه على الناس ، فهل يمكن أن يقال فيه : إنه مبتدع ؟ مع العلم أن هناك من يقول : لا يمكن تبديعه إلا بعد قيام الحجة عليه ، لأنه هو ناقل لكلام الأئمة كالذهبي وابن حجر وغيرهما ، فإن بدعتموه فيجب أن تبدِّعوا من نقل عنهم ، فما ردكم على هذا ؟

جواب : أما أنه لا يمكن تبديعه ، فنحن نسألهم : أعالم هو أم جاهل في نظرهم ؟ فإن قالوا : هو جاهل ، فذاك ، وإن قالوا : هو عالم ، والرجل الذي يذكر هذه الشبهات يدل على أنه صاحب هوى ويلصق بالدين ما ليس منه ؛ لأن البدعة في اللغة : ما أحدث على غير مثال سابق .

وفي الشرع : ما زيد في الدين وتعبد به وليس من الدين .

فأنا لا أشك في أن الرجل مبتدع ، وأنه يعتبر ملبسًا مضللًا .

وهذا القائل بأنه ليس بمبتدع حتى تقام عليه الحجة ، فأخشى أن يكون من المجروحين هو نفسه فيكون من الإخوان المفلسين ، أو من أصحاب هذه الجمعيات ، - وأعني بها الحزبيات المغلفة - لا الجمعيات التي ليست فيها حزبية وتساعد على بناء المساجد وكفالة الأيتام وحفر الآبار ، فهذا أمر طيب وإن تركت فهو أحسن ، لأن النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم كان يحث الناس وقت الحاجة .

فلا شك أن الرجل يعتبر مبتدعًا .

وفي هذا الوقت لم يبق لأهل العلم قيمة ، فلماذا لا يسألون الشيخ ابن باز ، أو الشيخ الألباني ، أو الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد : هل الطحان يعتبر مبتدعًا أم لا ؟ وهكذا يسألون العلماء الذين ما تلوثت أفكارهم بالحزبية ، ولا بالسياسات المنحرفة .

سؤال : هل تنصحون الشباب المسلم وطلبة العلم باستماع محاضراته وحضور مجالسه ؟

جواب : قد نصحناهم ألا يحضروا عند أصحاب الجمعيات والحزبيات المغلفة ، وهم لم يبلغوا في الضلال ربع ما بلغ الطحان ، فكيف بالطحان الذي أصبح صاحب هوس ، وأصبح دعامة من دعامات الصوفية وأصحاب الباطل ؟، فأنا أقول : انفرقعوا عنه وإياكم كما قال بعضهم : اسمع من ثور واحذر قرنيه ، وأما أنا فأقول لك : لا تسمع من الطحان دعه

للطحن يطحن ، فإن كلامه الآن ليس من كلام أهل العلم ، فعند أن كان بأبها كان كلامه من كلام أهل العلم ، وكنا ننصح طلبة العلم وندعو له أن اللَّه سبحانه وتعالى يوفقه ، وأن يدفع عنه كل سوء ومكروه ، وتعجبنا أشرطته ، لكن بعد هذه الأباطيل ماذا ترك من الضلال ، وأقول : لعله ما يحضر عنده إلا الغثاء ، وأنصح طلبة العلم أن يبتعدوا عنه ، وكان محمد ابن سيرين يحذر إخوانه من المبتدعة ، وهكذا أيوب بن أبي تميمة السختياني .

وماذا تستفيد من شخص يقول لمن ناقشه : إنه سفيه ، وإنه حمار ، وإنه دابة ، فهل هذا كلام أهل العلم ؟! وهل هذه أخلاق أهل العلم وأخلاق رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ؟!

أما أشرطته التي كانت في أبها فلا أرى مانعًا من سماعها ، مع سماع أشرطته التي أتى بها الإخوة من قطر ليعرفوا ضلالاته وترهاته التي قام بها وعمل بها .

والناس بحمد اللَّه أغنياء عن أشرطته ، فأنصح بحفظ القرآن ، وبحفظ ما اسْتُطِيعَ من « رياض الصالحين » ، والمصطلح واللغة العربية .

سؤال : وأخيرًا وبعد هذه الأجوبة النافعة نسأل اللَّه أن ينفع بها شباب المسلمين ، فما نصيحتكم لشباب قطر ؟

جواب : الذي أنصحهم به حفظهم اللَّه : أن يقبلوا إقبالًا كليًّا على طلب العلم ، وأن يستقدموا العلماء الأفاضل الذين ليسوا بحزبيين ، وأن

يرحلوا إلى أهل العلم ما استطاعوا، فالرحلة أمر مشروع ومطلوب، وكذلك ألا يشغلوا أنفسم بالاختلافات والحزبيات، فالحزبيات تعتبر مساخة، وأن يقبلوا إقبالًا كليًا على حفظ ما اسْتُطِيعَ من كتاب اللَّه، ومن سنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم، ثم كتب المصطلح، وأنصحهم أن يستقدموا إخوانًا لهم من أهل السنة مثل الشيخ ربيع حفظه اللَّه، ومثل الشيخ الألباني حفظه اللَّه، وهكذا لو استطاع الشيخ ابن باز حفظه اللَّه، فإن لم يتيسر لهم ذلك فأهل الدنيا يرحلون إلى إمريكا، وإلى أقصى البلاد المعمورة من أجل الدنيا، فترحلون من أجل طلب العلم، ومن أجل الاستفادة من العلماء.

الحمد للَّه، والصلاة والسلام على رسول اللَّه، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد: فهذه أسئلة من دولة قطر حول أقوال رجل مبتدع ابتلى اللَّه به أهل قطر أهل التوحيد، نعرضها على شيخنا الفاضل محدث الديار اليمنية أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، هذا وقد يسر اللَّه لشيخنا أن فنَّد بعض أقواله في شريطين سابقين بعنوان: «**إقامة البرهان على ضلال عبد الرحيم الطحان**»، فانصدم هذا المبتدع بهذين الشريطين، وبهذه اللطمة التي ساقها له القدر من أرض دماج، فأصبح بعد هذين الشريطين يهرف بما لا يعرف، ويخرج ما في جوفه من ثنائه على الصوفيين

والمبتدعين ، وأصبح يشن حربًا شعواء ضد الدعاة السلفيين فيقول : ولذلك كان وحي اللَّه ودينه لعقولنا كالشمس لأعيننا ، وهذا ما قرره أئمتنا الكرام قاطبة رحمة اللَّه ورضوانه عليهم أجمعين منهم الإمام الحارث بن أسد المحاسبي الذي توفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين (٢٤٣) للهجرة ، وهو من العلماء الربانيين في هذه الأمة ، وهو الذي يقول الإمام الذهبي في ترجمته : هو العارف الزاهد شيخ الصوفية وصاحب الكتب الوعظية .

يقول الطحان : الحارث بن أسد المحاسبي جرى بينه وبين الإمام أحمد عليهم جميعًا رحمة اللَّه شيء مما ينبغي أن يطويه طالب العلم صفحًا عنه ، وإذا أردت أن تبحث في هذا الأمر بإنصاف لئلا تقع في الضلال والاعتساف ، فانظر في « طبقات الشافعية الكبرى » للإمام السبكي ، كما في شريط (التشريع للَّه وحده) ، الوجه الثاني يوم الجمعة الموافق : (٩/٩/ ١٩٩٤م) .

سؤال : ما حال الحارث بن أسد المحاسبي ، وما حال السبكي الذي أحال عليه ، وما موقف طالب العلم من الخلاف الدائر بين أئمة السلف رضي اللَّه عنهم ؟

جواب : الحمد للَّه ، وصلى اللَّه وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن والاه ، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد : فنحمد اللَّه سبحانه وتعالى الذي وفقنا لإخراج الشريطين السابقين ، وكنت أظن أنهما كافيان ، ولكن شأن أهل البدع أنهم يجادلون بالباطل ويلبسون على عوام المسلمين ، وطلبة العلم من زمن قديم ، فعززنا الشريطين بثالث ، وإن لم يمسك الطحان بعده رابع وخامس ، وسيخرج إن شاء اللَّه في كتاب .

أما الحارث بن أسد تكلم فيه الإمام أحمد ، ولكن الحافظ الذهبي في « ميزان الاعتدال » يرى أن القصة الأولى منقطعة ، وأن الثانية تعتبر منكرة ، ثم ساق كلام أبي زرعة ولم يتعقبه بشيء أن الحارث بن أسد المحاسبي مبتدع لا يجوز الأخذ عنه ، ولا يجوز النظر في كتبه ، وكانت لدي رسالة من رسائل الحارث ، فإذا هي هراء تصد عن كتاب اللَّه وعن سنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، فالحاصل أن الحارث المحاسبي أعرض عن علم الكتاب والسنة ومال إلى المواعظ والرقاق ، ولكن هل اعتمد في المواعظ والرقاق على كتاب اللَّه والصحيح من سنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ؟ اللذين هما كافيان كما يقول ربنا عز وجل : ﴿ **أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب** ﴾ [العنكبوت : ٥١] .

وكما يقول النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « **تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك** » . وأرباب التصوف دينهم خليط ، فذاك من رؤيات ، وذاك من خطرات ، وآخر يقول : حدثني قلبي عن ربي ، حتى أن القرطبي كما في « فتح الباري » كما نقله عنه الحافظ

ابن حجر قال : من زعم أنه يستغني عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ويقول : حدثني قلبي عن ربي فهو كافر .

لبس عليهم إبليس ، وأنا أنصح كل أخ أن يقرأ في كتاب « تلبيس إبليس » للحافظ ابن الجوزي يرى العجب العجاب من تلبيسه على الصوفية .

وإنني أحمد اللَّه سبحانه وتعالى ، فقد قام علماؤنا رحمهم اللَّه ببيان أحوال الصوفية وما هم عليه من الزيغ والضلال . وأصل التصوف مبتدع ، فاللَّه سمانا مسلمين ، وأولئك سموا أنفسهم صوفية ، وهذه التسمية لم تكن على عهد النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ولا على عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب ، ولا على عهد بقية الصحابة ، وإن تناكد أبو نعيم وذكر بعض الصحابة في الصوفية ، فقد أنكر عليه العلماء وحق لهم أن ينكروا عليه .

أما السبكي : فأشعري جلد وعند أن كتب الإمام الذهبي رحمه اللَّه في بعض أئمة الأشعرية ، قال السبكي : وما أرى شيخنا إلا أنه قد طبع على قلبه ، ذكر هذا في مسائل الجرح والتعديل ، لأن له رسالة وهي من ضمن « الطبقات الكبرى » . وهكذا يدافع عن الباطل وأهله ، ويذكر ترهات الصوفية وخزعبلاتهم ، وهكذا الأشعرية ويدافع عنهم فلا يعتمد عليه فيما كتب في « طبقاته » فيما يتعلق بالتصوف ، ولا الأشعرية ، ولا يعتمد عليه في طعنه في الإمام الذهبي ، وهكذا والده فقد طعن في شيخ

الإسلام ابن تيمية وألف كتابًا أراد أن « يسميه شن الغارة على من أنكر أحاديث الزيارة » أو من أنكر الزيارة .

فلا يعتمد على الحارث المحاسبي ، بل هو مبتدع زائغ ، ولا يجوز أن تقبل روايته ولا يشتغل بكتبه ، وكذلك لا يعتمد على السبكي كما تقدم . واللَّه المستعان .

أما الخلاف الدائر بين أئمة السلف رضوان اللَّه عليهم ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

اختلاف أفهام : فهذا لم ينكر بعضهم على بعض كاختلاف الصحابة في قول النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « **من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة** » ؛ فقد فهم بعضهم من الحديث التعجل وصلى في الطريق ، وبعضهم أخذ بظاهر الحديث فلم يصل العصر إلا في بني قريظة ، ولعلها قد غربت الشمس .

ومن أمثلة اختلاف الأفهام : ما جاء أن عدي بن حاتم رضي اللَّه عنه فهم من قول اللَّه عز وجل : ﴿ **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود** ﴾ [البقرة : ١٨٧] أنه يضع خيطين تحت وسادته أحدهما أبيض والآخر أسود فلا يزال يأكل حتى يتبين له هذا وهذا ، وهكذا بعض الصحابة يربط خيطين في رجله ولا يزال يأكل حتى يتبين له هذا وهذا ، فأخطأ في فهمه ، ولم يوافقه الصحابة على ذلك حتى أنزل اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿ **من الفجر** ﴾ [البقرة : ١٨٧] ، ولم يقل له النبي

صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم عليك أن تقضي تلك الأيام ، فقد اجتهد وفهم هذا وأخطأ في فهمه ، ولم يأمره النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بالإعادة .

واختلافهم أيضًا في قوله صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « **إذا استيقظ أحدكم فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثًا ، فإنه لا يدري أين باتت يده** » .

فبعضهم قيده بنوم الليل لقوله : أين باتت يده ، وبعضهم قال : إنه خرج مخرج الأغلب ، وألحق نوم النهار ، وبعضهم قال : إن الأصل في اليد الطهارة ، وعلى هذا فلا يضر .

ومنهم من فهم التحريم ، فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثًا ، وهذا الأخير للتحريم وأنه أمر تعبدي .

ولم ينكر بعضهم على بعض ، بل كل أخذ بفهمه من الحديث ، وهذا بخلاف أهل البدع ، فإنك تجد الخوارج يجلس ثلاثة أو أربعة ولا يقومون إلا وقد كَفَّر بعضهم بعضًا ، والمعتزلة لاحقهم يكفر سابقهم .

أما أهل السنة فهم بعيدون عن تكفير بعضهم بعضًا .

والأمر الثاني : اختلاف التنوع : ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية فيه : لا ينكره إلا جاهل ، واختلاف التنوع كالاختلاف في كيفية الصلاة على النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، فقد وردت كيفيات كثيرة في « الصحيح » ، وفي غير « الصحيح » .

وكذلك الاختلاف في التشهد ، فقد وردت بكيفيات متعددة .

فلا ينبغي أن تنكر على أخيك إذا قرأ رواية عبد اللَّه بن مسعود في التحيات – وهي تعتبر أصح رواية – أو قرأ غيرها من الروايات ، أو الصلاة على النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم سواء أكانت من رواية أبي حميد أو أبي أسيد الساعدي ، أو من رواية كعب بن عجرة ، فلا ينكر هذا على هذا ، فهذا من الأمر الموسع فيه ، ومثله أيضًا رفع اليدين في الصلاة ، فقد ثبت عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم في حديث عبد اللَّه بن عمر وغيره أنه رفع يديه إلى حذو المنكبين ، وثبت أيضًا أنه رفع يديه إلى حذو فروع أذنيه ، فعلى هذا فإن رفعت يديك إلى فروع أذنيك فهذه سنة ، وإن رفعت يديك إلى حذو منكبيك فهذه سنة .

والأمر الثالث : هو اختلاف التضاد : وهو أن يخالف دليلًا صحيحًا صريحًا بدون تأويل ، فهذا هو الذي ينكره علماؤنا المتقدمون رحمهم اللَّه ، وهذا هو الذي أنكره النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قبلهم عند أن قال لرجل : « **كل بيمينك** » ، قال : لا أستطيع ، ما منعه إلا الكبر ، ، قال : « **لا استطعت** » ، فما رفعها إلى فيه . رواه مسلم من حديث سلمة ابن الأكوع .

وهكذا حمل بن مالك ابن النابغة عند أن أراد أن يبطل حكم اللَّه بسجعه ، فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « **إنما هذا من إخوان الكهان** » من أجل سجعه .

وقال صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم لنسائه: «**إنكن صواحب يوسف**».

فالذي ينكر دليلًا صحيحًا صريحًا بدون تأول فهذا هو الذي ينكر عليه، بل قال إسحاق بن راهويه رحمه اللَّه: من رد حديثًا صحيحًا يعترف بصحته من غير تأويل فقد كفر.

سؤال: ويقول الطحان: والشيوخ الصالحون شردوا إلى بلاد الشام ومنهم إلى مصر ومنهم شيخ الإسلام مصطفى صبري، فقد ذهب إلى بلاد مصر وتوفي هناك، ومنهم وكيل مشيخة الإسلام الشيخ زاهد الكوثري ذهب إلى مصر وتوفي هناك - كما في شريط (النجد قرن الشيطان) رقم (١) الوجه الثاني، - وقال عن الكوثري أيضًا في مكالمة هاتفية مسجلة بينه وبين أخ من الإمارات: إنه عالم من علماء الأمة، فالسؤال: ما حال الكوثري الذي يثني عليه الطحان؟

جواب: الكوثري زاهد في السنة؛ بل هو محارب للسنة ولعلماء السنة، والدليل على هذا أنه حكم على ابن القيم بالكفر، ونقل عن بعض الرافضة أنه قال: إن الشوكاني يهودي مدسوس على المسلمين؛ فنقله الكوثري وسكت عليه.

ونقل عن الفخر الرازي أن «كتاب التوحيد» لابن خزيمة كتاب الشرك، وكانت له تعليقات زائغة على «الأسماء والصفات» للبيهقي، فقيض اللَّه أخًا - وفقنا اللَّه وإياه - وقام بخدمتها على أحسن الوجوه،

وطهر الكتاب من أدناس الكوثري، وأنا أنصح بمراجعة «الطليعة» للمعلمي، وكذلك «التنكيل» للمعلمي تجد الكوثري الضال قد طعن في أنس بن مالك، وفي مالك بن أنس، وفي الشافعي، وفي أحمد بن حنبل، وفي عبد اللَّه بن أحمد، فيسخر منه ومن «كتاب السنة» له، وفي ابن بطة صاحب «السنة»، وفي صاحب «المستدرك»، وطعن في ابن حبان، وابن عدي، فما ترك عالمًا من علماء الأمة له كلام في أبي حنيفة إلا وطعن فيه ذلك الرجل.

وقد بيَّن أحوال الكوثري عبد الرحمن المعلمي جزاه اللَّه خيرًا، وحقده على السنة وعلى أهل السنة.

وقد لقبه بعضهم بمجنون أبي حنيفة، فقال محمد عبد الرزاق حمزة: أما أنا فألقبه بمجنون الدراهم، فهو يُري الحنفية أنه متحمس للمذهب الحنفي ويؤلف نُسيخة، ثم هاتوا يا حنفية من أجل أن نطبع هذه النسخة فإنها دفاع عن أبي حنيفة.

فهو رجل ضال مضل ضلل علماء الأمة، فقد حمل على الدارقطني ومَنْ بعده كالخطيب وغيره، فأنصح بمراجعة ذلك الكتاب القيم «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل»، لتعرف ضلال وحقد الكوثري.

وهناك «مقدمة للروض النضير شرح المجموع» المنسوب لزيد بن علي، والكتاب لا يثبت الذي هو المجموع، لكن هذا يأتي بمقدمة ويسخر من

الشوكاني ومن محمد بن إسماعيل الأمير، ويسخر من بقية علماء اليمن السنيين، كيف أرادوا أن يقضوا على الحرث والنسل من مذهب أهل البيت.

فلا يرفع من شأنه ولا يعتقده إمامًا، إلا إذا كان إمامًا من أئمة الضلال الذين يقول فيهم ربنا عز وجل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن كثيرًا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل اللَّه**﴾ [التوبة: ٣٤]، والذين يقول فيهم النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: «**أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**».

فيا أيها الطحان أأنت جويهل؟ أم أنت مجادل بالباطل دساس كذاب خائن، فأنت بين أمرين، فإما أن تكون جويهلًا، وإما أن تكون كذابًا دساسًا خائنًا، لا يجوز لأحد أن يحضر دروسك ومحاضراتك.

وإذا وصل الشريط إلى الطحان ربما لا يأتيه النوم، فلو كان على حق فإنه لا يبالي كما قيل: ﴿**وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾ [النحل: ١٢٥]، وكما قال الشاعر:

وجدال أهل العلم ليس بضائري ... ما بين غالبهم من المغلوب

لكن هذا الطحان يرمي هذا بالسفاهة، ويرمي ذاك بالنذالة، فهل هذه بضاعتك؟ واللَّه سبحانه وتعالى يقول: ﴿**قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**﴾ [البقرة: ١١١].

فأين برهانك على تمجيد السبكي ، وعلى تمجيد الحارث المحاسبي بالسند الصحيح ، إلى علماء معاصرين للحارث المحاسبي وعلماء معاصرين للسبكي ؟!

وهكذا علماء من علمائنا الأجلاء من أهل السنة الذين يلازمون العدالة ، فإن اللَّه عز وجل يقول : ﴿ **ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى** ﴾ [المائدة : ٤٨] ، ﴿ **وإذا قلتم فاعدلوا** ﴾ [الأنعام : ١٥٢] ، ويقول : ﴿ **إن اللَّه يأمر بالعدل والإحسان** ﴾ .

[النحل : ٩٠]

ونحن نريد أن تخرج كل ما عندك من الضلال ، فقد كنت مخبئًا له وأنت في (أبها) : ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون** ﴾ .

[الشعراء : ٢٢٧]

سؤال : ونظير هذا كله أنه يطعن في الدعاة إلى السلفية كأمثال الشيخ العلامة المحدث الفقيه محمد ناصر الدين الألباني حفظه اللَّه ، فيقول عليه تارة : يجب أن يحجر عليه ويُسَكَّت كما في شريط (تعريف البدعة وأمثلة لها) ، الوجه الثاني ، يوم الجمعة (١٥/٧/ ١٩٩٤م) ، ويقول عليه تارة : بأنه من المتطرفين الغالين الشاذين . كما في شريط (إحساس الميت بالزائرين) ، الوجه الأول ، يوم الجمعة (٢٩/٧/ ١٩٩٤م) ، ويقول للشيخ الألباني : واللَّه لو بقيت في المذهب الحنفي الذي تزعم أنه ضلال قديم خير لك من الضلال الحالي

الذي صرت إليه كما في شريط (الاتفاق على وهم الألباني) الوجه الثاني، يوم الجمعة (٢٣/٢/١٩٩٥م).

وكثيرًا ما يتهم هيئة كبار العلماء بأنهم يجوِّزون لبس الصليب فيقول: انظر بعد ذلك لفتوى كبار العلماء وصغارهم، في هذه الأيام يفتي بجواز لبس الصليب، إذا جرت به مراسيم البلاد، أي تقي أي صلاح خشية من اللَّه، ويقول مستهزئًا بهيئة كبار العلماء: نعم عندنا في هذه الأيام لجنة فتوى كبار علماء وصغارهم، لكن نحن ما بين عميان وعوران ومنهم في حكم الأعرج والأعشى فينبغي أن نضع الأمر في موضعه كما في شريط (الاجتهاد في الإسلام) الوجه الثاني، يوم الجمعة (١٦/٩/١٩٩٤م).

وأعاب على سماحة الوالد المحدث العلامة الزاهد الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه اللَّه في تعليقه على «فتح الباري» في مسألة التبرك فقال: وأما من علق على «فتح الباري»، وغيره في هذه الأيام، وبيَّن أن هذا خطأ؛ فكل هذا خطأ باطل يجب أن نحذر من كل قيل وقال يجري في هذه الأيام ويخالف ما عليه علماء الإسلام، وإن كسي بعد ذلك بثوب الأثر والحديث أو بثوب السلفية أو بغير ذلك من الشعارات، كما في شريط (التحقيق في ذم التصفيق) الوجه الثاني، يوم الجمعة الموافق (١٢/٣/١٩٩٤م).

ولما تكلم على البدعة المكفرة وأصحابها فقال: كما هو الحال في بدعة القدرية الغلاة الذين نفوا علم اللَّه في الأشياء قبل حدوثها ووقوعها، كما

هو الحال في بدعة الشيعة الغلاة الذين ألَّهوا عليًّا وغيره ، وكما هو الحال في بدعة زنادقة الصوفية الذين قالوا بحلول الخالق في بعض المخلوقات ، وكما هو الحال في بدعة سفهاء بعض من ينتمي إلى السلفية في هذه الأيام فيصول ويجول على عباد الرحمن بالتكفير من أجل أنهم خالفوه في رأي ، وذلك الرأي على غاية ما يمكن أن يقال إنه راجح أو مرجوح ، ثم قال : إخواتي الكرام اشتط كثير من السفهاء في هذه الأيام ممن يدعون الانتساب إلى سلفنا الكرام ولا سلف لهم إلا غلاة الخوارج أهل البدع والأوهام فكفروا عباد الرحمن اعتداء منهم على أهل الإسلام ، كما في شريط (الفروض الدائمة والمؤقتة) ، (١٠/٣/ ١٩٩٥م) .

سؤال : ما هو تعليقكم في طعنه في أهل السنة ، وما هو موقف أهل السنة والجماعة من أهل البدع أمثال الكوثري وغيره ؟

جواب : أما أهل السنة فهذا شأن المبتدعة من زمن قديم أنهم يطعنون في أهل السنة حتى قال بعض علمائنا المتقدمين : علامة أهل البدع الوقيعة في أهل السنة .

وقال قائل المبتدعة معرضًا بأهل السنة :

زوامل للأخبار لا علم عندهم ... بجيِّدها إلا كعلم الأباعر
لعمرك ما يدري المطي إذا غدا ... بأحماله أو راح ما في الغرائر

وقال آخر :

يدعون أهل الحديث وهاهم ... لا يكادون يفقهون حديثا

وعندنا قول ربنا عز وجل: ﴿ **لقد كان لكم في رسول اللَّه أسوة حسنة لمن كان يرجوا اللَّه واليوم الآخر وذكر اللَّه كثيرًا** ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقول رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم: « **من رغب عن سنتي فليس مني** ».

وأهل السنة لا يزيدهم تكالب أعدائهم إلا نشاطًا ولا تزيد دعوتهم إلا نشاطًا، وصدق النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم إذ يقول: « **لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر اللَّه وهم على ذلك** ».

فكلام الطحان على الأفاضل من علماء السنة شأنه كما قيل:

يا أيها الناطح الجبل العالي ليوهنه أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

وكما قيل أيضًا:

كناطح صخرة يومًا ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

فبسبب ضجة المبتدعة تنتشر السنة كما قيل:

وإذا أراد اللَّه نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار في جزل الغضى ما كان يعرف طيب نشر العود

فالحمد للَّه فإن اللَّه حافظ دينه، وحافظ سنة نبيه محمد صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم القائل فيها: « **من رغب عن سنتي فليس مني** »، والقائل

فيها : « **إن لكل عمل شرة ، ولكل شرة فترة ، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى ، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك** » .

فالشيخ الألباني حفظه اللّه تعالى انتشرت كتبه ، وانتفع المسلمون بعلمه ، ولسنا نقول : إنه معصوم ، فهو يصيب ويخطئ ويجهل ويعلم ، إلا أنه يعتبر إمام أهل السنة في هذا الزمن .

وأنت أيها المسكين ماذا قدمت للإسلام ، فقد كانت مواعظك مؤثرة ، والآن لا أدري كيف يصبر أهل قطر على السباب والشتائم .

وقد يقول قائل : مثل هذه الخطبة المليئة بالسباب والشتائم هل يجب الإنصات لها أم لا ؟ لا ، لا يجب الإنصات لها ، بل تأخذ مصحفًا وتقرأ فيه ، أو تذاكر أنت وصاحبك مسائل علمية ؛ لأن اللّه عز وجل يقول في كتابه الكريم : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر اللّه** ﴾ [الجمعة : ٩] ، ولم يقل : اسعوا إلى سباب المسلمين .

وفي « الصحيحين » من حديث ابن مسعود عن النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم قال : « **سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر** » ، ويقول النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم : « **اللعانون لا يكونون شهداء ولا شفعاء** » .

فأقول : إن مثل هذا الخطب لا ينبغي الإنصات لها ، وأنا أعجب من الإخوة القطريين كيف يحضرون عنده يوم الجمعة ؟.

وأنا أخشى عليه من الجنون ، فهو منزعج من هذه الردود ، لأنه يعرف أنه مهزوز ، وأن أفكاره مبنية على هيام ، فهو يكمل ما نقص بالسباب والشتائم .

وهكذا الوالد الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه اللَّه فليست لديه مداهنة ولا محاباة ، والحمد للَّه بقاؤه في منصبه فيه خير كثير ، وهو يعتبر قذى في أعين المبتدعة ، فالمبتدعة لا يتألمون إلا من شيء ، فهم يكرهون الشيخ ابن باز ، ويكرهون الشيخ الألباني ، لأنهما يبيِّنان ما المبتدعة عليه من الضلال .

ونبشركم أن هذه الأشياء ستزول بإذن اللَّه تعالى بالأشرطة والكتب .

وكأني أصور الطحان في دائرة صغيرة وسهام أهل السنة تأتيه من كل جانب .

وربما يؤدي به الانزعاج إلى الإصابة بمرض الأعصاب ، فعليه أن يرفق بنفسه ، وأن يتوب إلى اللَّه سبحانه وتعالى ، وأن يستسلم لكتاب اللَّه ، ولسنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم .

سؤال : ويقول الطحان في مسألة التبرك : أما الشيخ عبد القادر فواللَّه إننا نتبرك بذكر اسمه ونتقرب إلى اللَّه جل وعلا بحبه ، وهكذا ما يقال أيضًا في حق الشيخ الصالح أحمد الرفاعي وهو شيخ صالح نتقرب إلى اللَّه جل وعلا بحبه ، وهو من شيوخ الإسلام ، ومن الصالحين ومن العلماء العاملين الربانيين . فما حكم التبرك ؟

جواب : التبرك لم يثبت ، إلا بالنبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وملابسه ، وريقه أو بعرقه ، فلم يثبت أن شخصًا ذهب إلى أبي بكر رضي اللَّه عنه يتبرك به ، ولا إلى عمر ولا إلى عثمان .

فهو يعتبر بدعة ، فإن صحبته عقيدة - أي : في الشخص أنه ينفع ويضر مع اللَّه أو من دون اللَّه - فيعتبر شركًا .

أما عبد القادر الجيلاني فهناك أقوال تنسب إليه لو ثبتت لحكم عليه بالضلال منها ما جاء :

كل قطب يطوف بالبيت سبعا وأنا البيت طائف بخيامي

وهكذا الغلو فيه من الذين بعده ، فقد نسبوا له ما لا يجوز أن ينسب إلا إلى اللَّه عز وجل .

فعبد القادر رجل من الحنابلة يصيب ويخطئ ويجهل ويعلم .

وأما أحمد بن علي الرفاعي ، فقد ذكروا أنه رجل صالح ، لكن المصادر التي ذكرت هذا تحتاج إلى نظر ، فمثلًا ذكر الحافظ ابن كثير في « البداية والنهاية » ، وابن خلكان في « وفيات الأعيان » ، وذكر الصفدي في « الوافي بالوفيات » .

ومسألة الصلاح فأنا متوقف في هذا حتى تنظر سيرته ، وهاك شيئًا من أحوال أتباعه السحرة في « الوافي بالوفيات » (ج٧ ص ٢١٩) : الشيخ أحمد الرفاعي الشافعي .

أحمد بن علي بن أحمد بن يحيى بن حازم بن علي بن رفاعة الزاهد الكبير سلطان العارفين في زمانه أبو العباس الرفاعي المغربي - وفي كثير من النسخ العربي - رضي اللَّه عنه ، قدم أبوه العراق ، وسكن البطائح بقرية اسمها أم عبيدة ، فتزوج بأخت الشيخ منصور الزاهد ، ورزق منها أولادًا منهم الشيخ أحمد وكان رجلًا صالحًا شافعيًّا .

قال أبو عبد الرحمن : إن لفظة الصلاح تحتاج إلى مصدر موثوق به ، فإننا نخشى أن يتناقله المتأخرون عن المتقدمين ، ويكون المصدر من صوفي .

فقد كنت ذات مرة أبحث في ترجمة ابن عطاء ولم يذكروا فيه شيئًا حتى وقفت على « البداية والنهاية » ، وبين أنه يعظم أمر الحلاج ، وأنه من الصوفية الزائغين ، وأصل التصوف من حيث هو مبتدع كما تقدم .

قال : انضم إليه خلق من الفقراء وأحسنوا فيه الاعتقاد ، ويقال لهم : الأحمدية والبطائحية ، ولهم أحوال عجيبة من أكل الحيات حية ، والنزول إلى التنانير وهي تتضرم ، والدخول في الأفرنة ، وينام أحدهم في جانب الفرن والخباز يخبز في الجانب الآخر ، ويرقصون في السماعات على النيران إلى أن تنطفئ ، ويقال : إنهم في بلادهم يركبون الأسود .

وذكر بقية الكلام .

وذكر بعضهم في ترجمته كذبًا مفضوحًا وهو أنه عند أن زار قبر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم أخرج النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يده له ليقبلها .

فغلاة الصوفية يعتبرون سحرة، وهم يلتقون مع الشيوعية في نهاية الأمر، لأن الشيوعية تنتهي إلى الإباحية، وغلاة الصوفية يقول قائلهم: ﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾ [الحجر: ٩٩]، ويقول: قد أبيح له كل شيء، فقد أتاه اليقين، ومعنى الآية: اعبد ربك يا محمد حتى تموت، كما هو معلوم من سيرة النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم.

فعبد القادر الجيلاني وأحمد الرفاعي، ليسا بحجة، بل الحجة: كتاب اللّه، وسنة رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم، وهما يعتبران من المسلمين إن كانا صالحين.

وأما رميه السلفية بالخوارج فسيسأل عن هذا أمام اللّه عز وجل، فإن الذي أنكر على الخوارج هم السلف من قديم الزمان وحديثه. فمن الذي كتب وروى الأحاديث المتكاثرة مثل قول النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: « **يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية** »، ومثل: « **الخوارج كلاب أهل النار** ».

وامتلأت الكتب بالتحذير من الخوارج، وبذكر الأحاديث الواردة في ذم الخوارج؟ إنهم السلف أهل السنة، ومن الذي يناظر الخوارج في هذا الزمن؟ إنهم أهل السنة ويحذرون منهم كذلك.

فأين تحذيرك من الخوارج: « **الذين يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية؟** »، فأين تحذيرك من الخوارج، فقد وجدوا بمصر وبالسودان، وباليمن وبالكويت، وبأرض الحرمين ونجد وهم مختفون

بأرض الحرمين ونجد ، وبالجزائر ، وفي كثير من البلاد الإسلامية والذي يقف لهم بالمرصاد أهل السنة ، ويبينون ما هم عليه من الضلال ، ويستدلون عليهم بقول النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم : « **من قال لأخيه : يا كافر ، فإن كان كما قال وإلا رجع عليه** » .

وهذا الطحان يحذر من السنة ، ومن أهل السنة ، ويرمي أهل السنة بما ليس فيهم .

وكلامك ليس بضائر أهل السنة ، والحمد للّه .

سؤال : ويقول الطحان : وسيأتينا في مراحل بحثنا أن الآلات والمزامير والمعازف كلها حرام ، والاستماع إليها فسق ، والتلذذ بها كفر ، واستحلالها ردة وخروج عن شريعة اللّه جل وعلا ؟

جواب : أبعدت النعجة يا طحان ، نعم إن آلات اللهو والطرب جاء فيها كما في « الصحيح » : « **ليكونن أقوام من أمتي يستحلون الحِرَ والحرير ، والخمر والمعازف** » .

أما الأغاني فإذا سلمت من ذكر الخدود والقدود وما يثير الغرائز الجنسية ، فمختلف فيها بين علمائنا المتقدمين ، ومن تلذذ بها فهم الصوفية الذين يرقصون في المساجد ، والذين يغنون في المساجد ، أما أهل السنة فهم بريئون من هذا ، لكن لا نستطيع أن نقول : إنهم فسقة لأنهم تلذذوا بالأغاني ، فإذا كانت أغاني فيها ذكر الخدود والقدود وتثير الغرائز الجنسية فنعم .

وأما الأغاني الحماسية كما جاء في عرس حضره النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، فكانت الجارية تقول :

أعـد لهـا كبشًـا فـي المربـد وفينـا رسـول اللَّه يعلـم مـا فـي غـد

فقال النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « **لا يعلم ما في غد إلا اللَّه عز وجل** » .

وهكذا الجاريتان اللتان كانتا تغنيان عند رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بما تهاجى به الأنصار يوم بعاث .

فلا نستطيع أن نقول : إن هذا يعتبر فاسقًا ، وكذلك المستحل لها كالظاهرية وكبعض الصوفية لا نستطيع أن نقول : إنهم كفار ، لكن نقول : إنهم مخطئون في هذا .

وأنا أسأل الطحان : من سبقه في هذا ؟ فقد نقل عبد الرحمن دمشقية عن الغزالي أن الأغاني تفضل على القرآن – عند الغزالي – من نحو سبعة أوجه أو أكثر .

فالذين تدافع عنهم وتستميت في الدفاع عنهم هم الذين يستبيحون هذا ويدعون إليه ، ويرقصون في المساجد وفي اجتماعاتهم .

سؤال : ما رأيكم في القرضاوي بالنسبة إلى الفتيا الزائغة التي يصدرها في قطر ، وتكلمه في بعض الإخوة السلفيين في قطر ، وقوله بالنسبة لتقصير الثوب وإرخاء اللحية : هذه نوافل فلا يجب أن يشتغل بها المرء ؟

جواب : القرضاوي قد قرض من الدين شيئًا ونخشى أن يكمِّل ، فهو حزبي له رسالة في جواز تعدد الجماعات الإسلامية ، وقد تكلمنا في غير هذا الشريط أنه لا يجوز تعدد الجماعات ، وأن المسلمين جماعة واحدة ، يقول النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « **إن يد اللَّه مع الجماعة** » ، فما قال : مع الجماعات .

ويقول : « **وإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة** » .

ويقول النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « **من فارق الجماعة وخرج عن الطاعة ..** » .

ورب العزة يقول في كتابه الكريم : ﴿ **واعتصموا بحبل اللَّه جميعًا ولا تفرقوا** ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

ويقول : ﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾ [الأنبياء : ٩٢] ، فالواجب على المسلمين أن يكونوا جماعة واحدة .

وقد تكلمنا في غير هذا الشريط على أن هذه الجماعات تعتبر مبتدعة إلا جماعة الكتاب والسنة ، ونرجو أن نكون من جماعة الكتاب والسنة .

وأما القرضاوي فلا يعتمد على فتاواه ، ولا على وعظه ، ولا على دعوته ، فقد أخبرني بعض الإخوة الجزائرين أن حكومة الجزائر استعانت به وطلبت منه أن يأتي ليضل الشباب مع محمد الغزالي ، لأن بعض الفتيات

كن ينفرن من التعليم الذي فيه اختلاط ، فقال القرضاوي : لي ابنتان : واحدة منهن تدرس في الخارج ، وأخرى تدرس في الخليج .

فهو رجل حزبي لا ينبغي أن يعتمد عليه .

وبعد هذا ، فإننا ننصح حكومة قطر وهي مذكورة بالخير أن تستورد العلماء الأفاضل الذين يدعون إلى كتاب اللَّه ، وإلى سنة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم من أمثال الشيخ عبد العزيز بن باز ، وأمثال الشيخ ربيع ، والشيخ عبد المحسن العباد ، وغيرهم من أهل السنة .

فبالأمس تكون قطر دار سنة وأهل سنة ، ثم يتحولون في أسرع وقت ، والشباب الذين رُحِّلوا حرام حرام أن يرحَّلوا من أجل الطحان .

فالنبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول لمعاذ بن جبل : « **واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين اللَّه حجاب** » .

ترحيلهم يعتبر سنة إبليسية ، فالكفار هم الذين يخرجون من لم يوافقهم ، كما قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿ **وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودون في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين * ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد** ﴾ [إبراهيم : ١٤] .

وقال سبحانه وتعالى حاكيًا عن قوم لوط : ﴿ **أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون** ﴾ [النمل : ٥٦] .

وقال أيضًا حاكيًا عن قوم شعيب : ﴿ **قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أو لو كنا كارهين * قد افترينا على الله كذبًا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علمًا على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين * وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبًا إنكم إذًا لخاسرون * فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين** ﴾ .

[الأعراف : ٨٨- ٩١]

ما يدرينا أن الغرق الذي حصل ؛ بسبب إخراج طلبة العلم : ﴿ **وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله** ﴾ [البروج : ٨] ، فما نقموا منهم إلا أنهم تمسكوا بدين الله ، وأرادوا إظهار دين الله ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

فيجب عليهم أن يتوبوا إلى الله تعالى ، وأن يكونوا في جانب الحق ، ومع العدل ، فإنها مسئولية عظيمة ، فالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « **ما من راعٍ يسترعيه الله رعية ، ثم لم يحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة** » .

فالقرضاوي لا يصلح أن يكون مفتيًا لقطر ، وكذلك الطحان لا يصلح أن يكون في عمله ذلك ، وقد أخبرت عن وزير الأوقاف أنه رجل محب

للخير، فإياكم أن ترجع بلدكم إلى الحزبية، أو إلى الصوفية فكونوا على حذر.

والحزبيون لديهم مخططات رهيبة، ولا يقيمون الحزبيات إلا أنهم ليسوا راضين عن الحكومة الحالية.

فيجب عليهم أن يتوبوا إلى اللَّه وأن يئووا طلبة العلم، وأن يأتوا لهم بمدرسين يصلحون للدعوة والخير، فلماذا لا يكون هناك معهد علمي لتعليم الكتاب والسنة، والنبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**».

ويقول أيضًا لأصحابه: «**أيكم يحب أن يغدو إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتي بناقتين كوماوين من غير إثم ولا قطيعة رحم**»، قالوا: كلنا يا رسول اللَّه يحب ذلك، فقال: «**لأن يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم آية خير له من ناقة، وآيتين خير له من ناقتين، وثلاث وأربع خير له من أعدادهن**».

والقرضاوي له مدة طويلة في قطر؛ فأين طلبة العلم الذين قد خَرَّجَهُم القرضاوي؟.

فإنه من الممكن أن يخرج في سنتين طلبة علم وتستغني قطر بالدعاة إلى اللَّه، دعاة إلى الكتاب والسنة.

فرق كبير بين دعوة أهل السنة ، وبين دعوة المبتدعة ، فدعاة أهل السنة يأمرون بالسمع والطاعة ما لم يروا كفرًا بواحًا ، ولا يجيزون الخروج على الحاكم ما لم يروا كفرًا بوحًا .

وداعية المبتدعة ، يخطط ، فإذا جاءه شخص من حزبه أكرمه وساعده ، وإن جاءه شخص ينكر عليه أعرض عنه وحذر منه .

فنصيحتي للّه عز وجل ، ثم لمسئولي قطر بأن يقيموا معهدًا لدراسة الكتاب والسنة ، ولا يكون للقرضاوي عليه سبيل ، وكذلك الطحان .

ويستقدموا علماء أجلاء ، يخرجون طلبة علم ، فإن الحزبيين لا يريدون إلا أن يبقى الشخص جاهلًا حتى إذا دعوك للتبرعات ، ملأت أيديهم ، وإذا دعوك للانتخابات تقول لهم : مرحبًا ، وأنت لا تدري ما حكم الانتخابات ، وإذا دعوك للجمعيات الحزبية المغلفة هرولت معهم .

فأنصحهم بإقامة معهد هنالك ، وإن شاء اللّه تنتشر سنة رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم ، وتوردون الخير من بلدكم إلى بلاد شتى .

أقول قولي هذا وأستغفر اللّه لي ولكم .

* * *